الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: أدب جزائري

ظاهرة الاغتراب في رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي

مقدمة من قبل:

الطالب (ة):بثينة عباسي

الطالب (ة):عايدة نصايبية

تاريخ المناقشة:24 / 09 / 2020

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
ليلى زغدودي	أستاذ مساعد(أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا
نور الدين مكفة	أستاذ محاضر (ب)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
زوليخة زيتون	أستاذ محاضر (ب)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا

السنة الجامعية: 2020/2019

شكر و تقدير

" و لئن شكرتم لأزيدنكم و لئن كفرتم إنّ عذابي لشديد "

صدق الله العظيم .

أتوجه بوافر شكري و تقديري إلى أستاذي المشرف مكفى نور الدين الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة ، و ما أولاني به من عناية وتوجيه حتى خرجت بهذه الصورة .

و لا يفوتني أن أقدم شكري و تقديري إلى لجنة المناقشة و كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

إهـــداء

الحمد لله الذي خلق الخلق فأحصاهم عددا ، و قسم الرزق و لم يسنى أحدا و الصلاة و السلام على خاتم المرسلين ، و تشفيع المسلمين و على آله و صحبه و التابعين إليه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

إلى من قال فيهما المولى عز وجل :

" و قضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه و بالوالدين إحسانا "

صدق الله العظيم

إلى التي حملتني بكل وفاء ، و علمتني حروف الهجاء ، وسهرت على مرضي حتى الشفاء ، أمي يا أغلى الأسماء.

إلى الذي رباني على الصدق و الإيمان و قادني نحو الاطمئنان ورعاني حتى صرت أهلا للإيمان أبي يا أغلى إنسان.

إلى رمز الحب و الحنان و سندي في الحياة أخواتي مروة ، ياسمين ، لبنى .

إلى أبناء إخوتي الذين زينوا البيت سرورا و هناء جاد ، إياد ، جود .

إلى كل أفراد عائلتي كبيرا و صغيرا دون استثناء .

و أحمد الله و أثني عليه أولا و آخرا على توفيقنا في إنجاز هذا العمل.

بـثـيـنـــة

إهـــداء :

إلى الله الكريم المنان أسجد شاكرة لتوفيقه لي و تسديده خطاي إلى من أدين لها بكل ما وصلت إليه، إلى القلب النابض بالحب و الحنان إلى الحضن الدافئ بالخير و الأمان ، إلى أعز إنسانة " أمي الحبيبة " أدامك الله لي في هذه الحياة.

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار ، إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ، إليك يا صاحب القلب الكبير * أبي العزيز * أطال الله في عمرك .

إلى أغلى أخ في العالم ، أخي و سند حياتي أدامك الله لنا و حفظك من كل سوء "نبيل "

إلى قلبي و روحي و سر أيامي ... أخواتي ، أدامكما الله تاجا فوق رأسي "آسيا ، أمال "

إلى رفيق دربي و سر فرحتي ، " زوجي " و والديه الكريمين .

إلى كل من ساندني ... و دعمني و لو بنصيحة ... لمن وسعته ذاكرتي و لم تسعه مذكرتي .

لكم جميعا أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع.

المقدمة

مقدمة :

يعدّ موضوع الاغتراب من المواضيع الهامّة التّي نالت حيّزا من الدّراسات الأدبية الغربية والعربية على حد سواء ، هذه الظاهرة لصيقة بالوجود الإنساني وملازمة له ، ولذلك نلاحظ انعكاساتها في الأعمال الأدبية بصفة عامة وفي الرواية بصفة خاصة ، وهذا لما يحمله من تجارب الروائي الحزينة والمؤلمة، ولأنّ الرواية كانت ولا تزال تجسيدا أو استجابة إنسانية لرؤية العالم فقد كانت أكثر صلة بظاهرة الاغتراب .

و مصطلح الاغتراب له استخدامات متعددة تختلف باختلاف كلّ مجال وكل دراسة ، وقد شاع استخدامه في الوقت الحاضر في مجال الفلسفة وعلم النّفس وعلم الاجتماع ، وليس غريبا أن يشعر الإنسان بالضياع والإحباط والعزلة والعجز إزاء التغيرات التي لم تتوقف على مطاردته في كل زاوية من زوايا الحياة ، فيشعر بأنّه غريب في كلّ ما يحيط به لعدم استطاعته تحقيق طموحاته أو لضعف قدرته على مواجهة المجتمع وما ينوأ به من ثقافات مشوهة ، ممّا يعني أنّ ظاهرة الاغتراب ظاهرة نفسية وفكرية واجتماعية واقتصادية تعبّر عن التّنافر بين الذّات والآخر والطبيعة والزمان والمكان، مما جعلها ظاهرة معقّدة تتعلق بوجود الإنسان ، و لقد انعكست هذه الظاهرة على الأدب، فغدا الاغتراب موضوعا بارزا فيها شأنه شأن مختلف أوجه النّشاط الإنساني ، فيعمل الأديب على نقل رؤيته إثر التّحولات المحيطة به في بيئته النفسية والمادية فلا يخلو العمل الأدبي من تناول هذه الظاهرة ، ومن هنا فإن الاغتراب يعد واحدا من المواضيع الهامّة في كثير من الأعمال الأدبية الشعرية أو النثرية.

والدافع الأساسي وراء اختيار هذا الموضوع هو أنّ الرواية استطاعت بالفعل تجسيد فكرة الاغتراب التي يعيشها الفرد والإجابة عن مختلف النّقاط المبهمة في فكرنا حول ظاهرة الاغتراب من خلال دراسة الأبعاد العميقة للوضع الجزائري ، و تجسيد الواقع الاجتماعي و ظواهر الحياة المختلفة ، ووضّحت التناقضات الاغترابية التي قد تطرأ على الفرد والمجتمع .

وعليه فقد أثارت هذه الظاهرة بعض التساؤلات والإشكاليات نذكرها كالآتي : ما مفهوم الاغتراب ؟ وما هي أنواعه ؟ وكيف تجلّت هذه الظاهرة في روايتنا ؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا المنهج الوصفي لإدراك الملامح والأبعاد الاغترابية الظاهرة والمضمرة .

ولقد اعتمدنا في مذكرتنا على خطة تضمّنها مدخل وفصلان وخاتمة ، فكان المدخل بعنوان الرواية الجزائرية النشأة والتطور أما الفصل الأول فكان نظريا تأسيسيا للمصطلح بعنوان ماهية الاغتراب وأنواعه ، جاء مبحثه الأوّل تحت عنوان ماهية الاغتراب ، تطرقنا فيه إلى مفهوم الاغتراب في اللغة والاصطلاح، وظاهرة الاغتراب في الفكر العربي والغربي ، والاغتراب والأدب ، وتحديدا عند بعض الفلاسفة وعلماء النّفس وعلماء الاجتماع . أمّا المبحث الثاني خصصناه لأنواع الاغتراب ، أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا وسمّيناه بملامح الاغتراب في رواية ذاكرة الجسد ، وأخيرا خاتمة ختمنا بها بحثنا تضمّنت أهم ما توصّلنا إليه من نتائج وخلاصات .

وقد اعتمدنا على بعض المراجع الهامّة التّي أنارت لنا الطّريق نذكر منها:

محمد الهادي بوطارن " الاغتراب في الشّعر العربي الرومانسي " ويحي العبد الله " الاغتراب " دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، ومحمد الهادي جعفر " الاغتراب في الشعر العربي المعاصر ".

وقد واجهتنا في هذا البحث بعض الصعوبات منها أننا لم نتمكن من الحصول على بعض المراجع من المكاتب بسبب الحجر الصحي مما جعل عملية البحث العلمي والحصول على المراجع أمرا صعبا للغاية .

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل الى أستاذنا المشرف الفاضل "مكفة نور الدين" الذي أشرف على هذا البحث ورعانا في جميع مراحله وأطواره ولم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة.

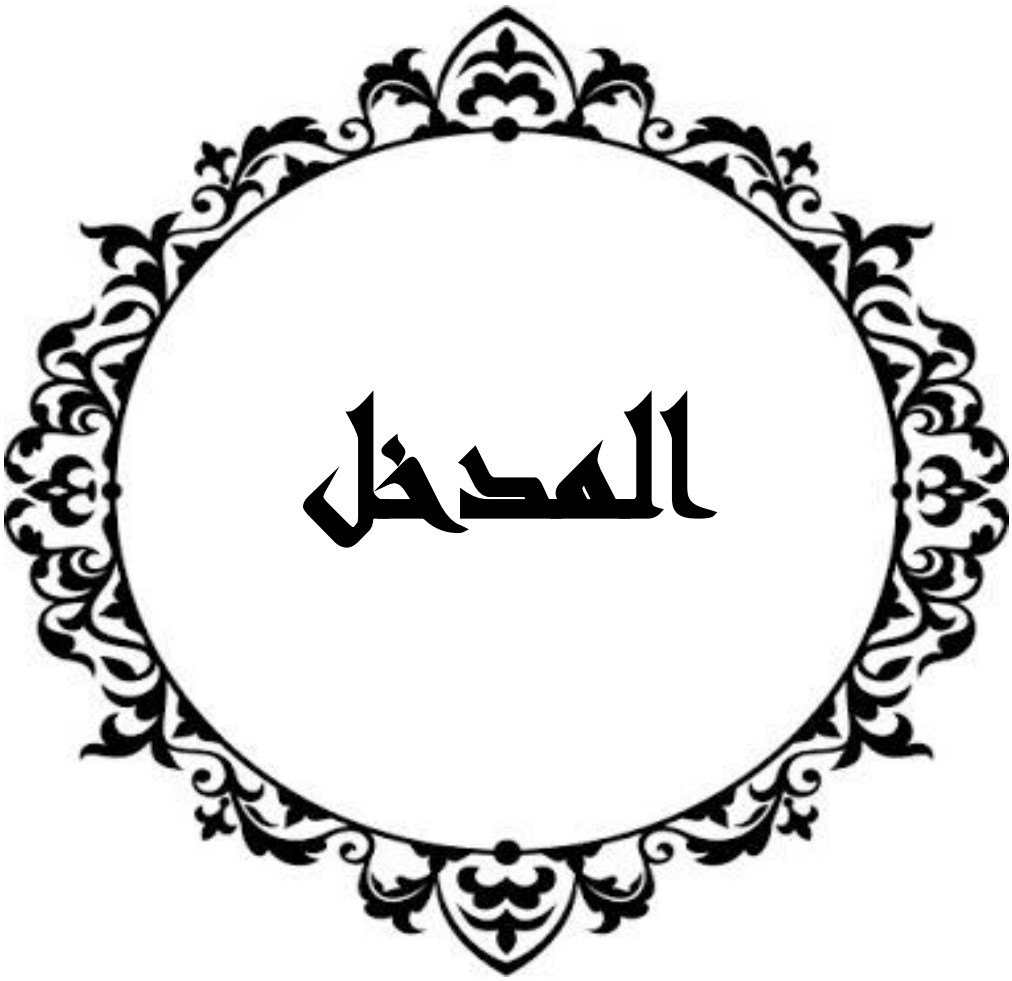
المدخل

1- الرّواية الجزائريّة النّشأة و التّطور:

تعتبر الرّواية من فنون الأدب النّثري الأكثر حداثة شكلا ومضمونا ،ولها تأثير كبير في المجتمع، حيث تتحدث عن مواقف وتجارب البشرية عبر الزّمان المكان لغايات دلالية معيّنة نستفيد منها في المواضيع العاطفية والتاريخية الاجتماعية و النّفسية إلى غير ذلك ، وسنحاول أن نرصد حركتها عبر التّاريخ بالحديث عن النشأة و التطور.

1-1-النّشأة :

نشأت الرّواية العربية متأخرة في أقطار المغرب العربي عامّة والجزائر خاصة ، وهذا راجع لعدة أسباب أبرزها تلك التي تطرق إليها" عبد الله الركيبي " : "أوّلها سيطرة نظريتها الفرنسية التي تعود الناس على قراءتها ، كما أنّ الوضع والظروف السائدة إبان الحقبة الاستعمارية كانت متردية حيث كان هذا الأخير يحاول طمس الهوية العربية ومقوّماتها" [1] .أي أن الوضع السياسي الذي كانت تعيشه الجزائر يهدف إلى طمس الهوية الجزائرية ، ونشر الجهل والفقر والأمية ، وهذا ما انعكس على الحركة الثقافية في الجزائر.

فقد كان أوّل عمل في الأدب الجزائري "حكاية العشاق في الحب الاشتياق "ينحو نحوا روائيا لصاحبه " محمد بن إبراهيم " سنة 1949 م ، و"غادة أم القرى" "لأحمد رضا حوحو "سنة 1947حيث اعتبرها بعض الدارسين " أول رواية تأسيسية لهذا الجنس الأدبي في الجزائر إذ كانت حوله بعض الآراء المتناقضة في تصنيفه ضمن القصّة و الرّواية "[2] ، وقد اتّضح أنّ هذه الرواية جاءت كتعبير عن تبلور الوعي الجماهيري على الرغم من آفاقها المحدودة و"الطالب المنكوب " "لعبد الحميد الشافعي "سنة 1951 م ، و"الحريق" "لنور الدين بوجدرة "سنة 1957 م ، و " صوت الغرام لـ"محمد منيع " سنة 1967 م إلاّ أن البداية الفنية التي يمكن أن نؤرخ في ضمنها لزمن تأسيس الرّواية في الأدب الجزائري اقترنت بظهور نص "ريح الجنوب" لـ"عبد الحميد بن هدّوقة " سنة 1951م.

[1] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري 1830 – 1974 ، الدّار العربيّة للكتاب ط 2 ، 1973 ، ص 198 .

[2] الدّكتور صالح مفقودة ، نشأة الرّواية العربية في الجزائر ، " التأسيس و التأصيل " مجلة المخبر للأبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، ص 17.

هكذا نشأت الرواية الجزائرية الناطقة باللسان العربي ، فقد خلدت لنا شخصيات مختلفة الأهواء والاتجاهات تماما كما حدث مع الإنسان وموقفه من التيارات الفكرية والحضارية المختلفة التي بدأت تجتاح كيانه بعد الاستقلال ، بالذات بعد أن كانت الساحة الوطنية تشهد تغيرات جذرية في كل المجالات.

وخلاصة القول إن الرواية الجزائرية ظهرت متأخرة مقارنة بالأشكال الأدبية الأخرى ، وكان معظم كتّابها يكتبون باللغة الفرنسية في فترة الاستعمار، ذلك أن الثّقافة الفرنسية كانت تطغى على الثّقافة العربية آنذاك ، لكن بعد ذلك ترجمت الرّواية الجزائرية إلى اللغة العربية.

1-2- التّطور :

إذا كانت نشأة الرّواية متأخرة نسبيا في أقطار المغرب العربي ، فإنّ تطوّرها كان سريعا، وسنتناول هذا الموضوع في الفترات التالية:

فترة السبعينات : كانت " الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية " [1] أي أن هذه المرحلة تميزت بالنضج الفني ، وذلك من خلال أعمال " عبد الحميد بن هدوقة " ، في " ريح الجنوب " و"اللاز "و " الزلزال "لـ" الطّاهر وطّار "، وهذا ما مكّن الجزائر من الانفتاح الحر على اللغة العربية ، وجعلهم يلجئون إلى الكتابة الرّوائية للتعبير عن الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته.

فترة الثّمانينات : فقد أصبحت الحرّية الموضوع المهيمن على الرّواية الجزائرية، وبدأت الكتابات تتحرّر من قيد الالتزام ، وراح كتاب هذه المرحلة يخوضون غمار التجريب على مستوى اللّغة وتقنيات الكتابة ، ومن التّجارب الروائية في هذه الفترة نذكر روايات" واسيني الأعرج " "وقع الأحذية الخشنة"سنة1981 م ، ورواية " العشق والموت في زمن الحراشي " لـ " الطّاهر وطّار " سنة 1980 وعرس بغل سنة1982 م ، وغيرها من الرّوايات التي ترمي إلى إحداث التجديد.

[1] واسيني الأعرج ، " اتجاهات الرواية العربية في الجزائر " بحث في الأصول التاريخية للرواية الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، د ط ، 1986 ، ص 90.

فترة التّسعينات : وهي مرحلة حساسة فترة العشرية السوداء ، اتسمت بالعنف والحرب، فالرواية الجديدة بالرّغم من تعرّضها لمظاهر التخلّف الفكري والمعرفي فهي تقدّم بوصفها أفقا للكتابة الجديدة كما أنها ليست شيئا جامدا ولا مطلقا ولا مقدّسا ، وإنّما هي ثمرات فكر الإنسان ، ونجد أن الرّواية الجزائرية الجديدة تميزت عن التقليدية بثورتها على كل القواعد ورفض كل الأصول والقيم التقليدية ، وأصبحت لها أهمية جوهرية ومؤثرة في زمننا الإبداعي.

وقتنا الراهن : ازدهرت الرّواية في عصرنا الحديث لأنّها كانت ولا تزال المنسب الأدبي الأكثر انفتاحا على مقاربة الذات و الواقع و قادرة على استيعاب جميع الأجناس والأنواع والخطابات الأخرى ، كما تميزت بالنضج الفني وأصبحت الرّواية تجريبية تستلهم التّراث وتعيد قراءة التّاريخ وتتيقن في عرض موضوعاتها وتتخذ إستراتيجيات مختلفة للتأثير في القارئ وإقناعه.

وخلاصة القول إن ذات الرّواية تقوم على أشكال متنوعّة ، تصنع توجها شعبيا ، وتراتب تطوّرها على النّحو التّالي:(رواية النّشوء والتكوين) فترة الستّينات وما قبلها و(رواية التّعبير الإيديولوجي الموجّه) فترة السبعينات و(رواية الانفتاح و البحث عن الذّات) مرحلة الثمانينات (و رواية الأزمة) فترة التسعينات(و رواية التّجديد و التّجريب)الوقت الرّاهن.

إذا فالرّواية فنّ جمالي له القدرة على التّعبير على موضوعات مختلفة فكريا وجماليا باعتبارها الفّن الذي يمكّن الإنسان من التّعبير بطلاقة وحريّة دون قيود ، و من أبرز الموضوعات الّتي تطرقّت إليها الرّواية موضوع" الاغتراب " الذّي هو نوع من الاضطراب في علاقة الفرد بنفسه والعالم ويشكل مدخلا نفسيا واجتماعيا حضاريا بالنسبة للإنسان وعلاقته بالطبيعة والمجتمع والاقتصاد وغيرها من المجالات المتنوعة ، وقد استطاعت بأبعادها العميقة أن توضح وتخوض في توضيح التناقضات الاغترابية باعتبار الظّاهرة الاغترابية قديمة قدم الوجود الإنساني .

الفصل الأول

ماهية الاغتراب و أنواعه

المبحث الأول ماهية الاغتراب

1-مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحا

2-ظاهرة الاغتراب في الفكر الإنساني

(العربي والغربي)

3-الاغتراب في الحقول المعرفية

(الفلسفة-علم الاجتماع-علم النفس)

4-الاغتراب والأدب

المبحث الثاني

أنواع الاغتراب

المبحث الأول: ماهية الاغتراب

1-مفهوم الاغتراب:

إن أوّل ما نستهلّ به عملنا هذا سيكون في السّعي إلى تحديد مفهوم الاغتراب و ما توصلت إليه جهود اللّغويين والباحثين في بعض الحقول المعرفيّة

غير أنه في البدء نقول إنّ مفهوم الاغتراب مفهوم هلامي زئبقي ممّا يجعل تحديده تحديدا دقيقا مطلبا صعبا ، و تحقيقا لهذا المطلب سنبسّط له بالتّعريف اللّغوي ثمّ ما يفصل به النّقاد و الباحثون بمعنى مفهومه من النّاحية الإصلاحيّة.

1-1-الاغتراب لغة:

تناولت بعض المعاجم اللّغوية مصطلح **الاغتراب** كما يلي :

جاء في **لسان العرب** : الاغتراب و التغرّب ... تغرّب و اغترب ، و قد غرّبه الدّهر و رجل غرب بضمّ الغين والرّاء ، وغرّبت : بمعنى بعيد عن وطنه و الجمع غرباء والأنثى غريبة.

واغترب الرّجل نكح من الغرائب ، وتزوّج إلى غير أقاربه.

و الاغتراب : افتعال من الغربة (أراد) تزوجوا إلى الغرائب من النّساء غير الأقارب و أغرب الرّجل : صار غريب عليه وأغرب به : الفرس في حرية : وهو غاية الإكثار.

واغرب الرجل إذا اشتدّ وجعه من مرض أو غيره[1]

و قد ورد في المعجم الوسيط : غربت : الشّمس غروبا : اختفت في مغربها وفلان غاب والقوم ذهبوا وعنه تنحّى.

يقال : أغرب عنّي و فلان غربا وغربة بعد عن وطنه.

غرب الشّيء ، غربا : أسود العين ورمت ما فيها والشّاة والفرس أصابها داء الغرب

[1] جمال الدين ابن منظور الأنصاري لسان العرب ، مج 1، بيروت للطباعة و النشر د، ط ، 1955 م، ص 639-642 (مادة غرب ...)

غرب : عن وطنه غربة وغربة ابتعد منه والكلام غرابة غمض وخفي فهو غريب جمع غرباء وهي غريبة جمع غرائب.

أغرب: أتى الغربة و صار غريبا ، و في كلامه : أتى بالغريب البعيد عن الفهم وفي الأرض أمعن فيها فسافر سفرا بعيدا أو يقال : رمي فأغرب أبعد المرمى وفي الضّحك بالغ.

غرب في الأرض ، أمعن فيها فسافر سفرا بعيدا والقوم ذهبوا ناحية الغرب.

تغرّب : نزح عن الوطن[1].

أمّا في معجم **مقاييس اللغة** ، فلم ترد سوى كلمة **غربة** بمدلولها الحسّي الّذي ورد في لسان العرب إذ جاء " : الغربة البعد عن الوطن ، ومن هذا الباب : غروب الشّمس كأنّه بعّدها عن وجه الأرض[2] "

أمّا في قاموس **المحيط** : يقال " : تغرّب أتى من الغربة ، والغربي من الشّجر، استغرب و استغرب وأغرب : بالغ في الضّحك ، المغرب ، بفتح الرّاء :الصّبح وكل شيء أبيض ، الغارب : الكاهل أو ما بين السّنام والعنق[3]"

أمّا في **مختار الصّحاح** في مادة غرب تقول " : تغرّب واغترب بمعنى فهو (غريب) و(غرب) بضمّتين والجمع (الغرباء) أيضا الأبعاد و(التغريب) النّفي عن البلاد ، و(أغرب) : جاء بشيء غريب.

و(الغرب) و(المغرب) واحد ، و(الغارب) ما بين السّنام إلى العنق ومنه قولهم : حبلك على غاربك : أي اذهبي حيث شئت[4] "

[1] إخراج إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، ج 1 ، أحمد حسن الزيات ، و حامد عبد القادر ، محمد علي البخار المجمع اللغة العربية 1989 م ، ص 647 (مادة تغرب ...)

[2] ابن فارس ، أبو الحسن أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 ، مج 4، ص 421.

[3] محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة ، 2008 ، ص 1179 .

[4] أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، ط جديدة ، بيروت ، لبنان ، 1955 ، ص 19.

هذه إذن بعض المعاني الّتي وردت عن مفهوم الاغتراب في بعض المعاجم العربية ، حيث أنّ الكلمة الشّائعة فيها هي غربة الّتي تدلّ على الانتقال الحسّي بينما جاءت كلمة الاغتراب لترادف المعنى الحسي للغربة.

يتبين لنا أن المعنى المشترك للفظ الاغتراب في المعنى اللغوي هو النّفي والابتعاد.

"أمّا حالة الاغتراب في المعاجم الحديثة فنجدها تدلّ على الاستلاب ، التّفرق، النفور ، الكراهيّة ، التشيؤ نتيجة التّحولات الاجتماعية والسّياسية والاقتصادية والدينية والثقافية ."[1] وهذا نظرا لما يحمله الاغتراب من معاني سلبيّة انبثقت عن ترك الإنسان لكل ما يحيط به منذ طفولته رغبة منه في تحقيق ما هو أفضل فينتج عن هذه الرغبة مشاكل واضطرابات في مختلف المجالات.

1-2- الاغتراب اصطلاحا:

يعدّ مصطلح الاغتراب من أكثر المصطلحات حضورا وتداولا في عالم الإبداع الإنساني التي هي جزء من الثّقافة الإنسانية الحيّة وقد اعتبر الاغتراب من المصطلحات التي استعصى ضبطها وتحديدها تحديدا علميا دقيقا نتيجة لما يكتنفه من غموض وحضوره في العالم الفنّي و خاصّة في عصرنا الحالي أمرا لا بدّ منه وواقع مفروض على الإنسان الّذي أصبح أكثر عرضة للاغتراب بعدما تاهت ذاته بين دوّامة الماضي الّذي يمثّل هويته وبيّن دوّامة الحاضر الّذي يمثّل وجوده وواقعه ومستقبل يعبّر عن رؤاه وتطلّعاته.

"والاغتراب باللّغة العربيّة يقابل الكلمة الإنجليزيّة Alienation والكلمة الفرنسية Alientation وفي الألمانيّة Entfremdung وقد اشتقّت الكلمتان الانجليزيّة والفرنسيّة أصلهما من الكلمة اللاتينيّة Alienation وهي اسم ممتدّ من الفعل اللّاتيني Alienare والّذي يعني نقل ملكيّة شيء ما إلى آخر أو يعني الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمدّ بدوره من كلمة أخرى هي Aliens أي الانتماء إلى شخص آخر أو التعلق به".[2]

[1] محمد الهادي بوطارن ، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي ، دار الكتاب الحديث القاهرة ، د ، ط ، 2010 ، ص 636.

[2] يحي العبد الله – الاغتراب - دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، دار فارس للنشر والتوزيع – بيروت، لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص21.

الاغتراب ظاهرة إنسانيّة وجدت بوجود الإنسان حيث يعدّ من المواضيع البارزة في القرآن الكريم فقد كان أوّل اغتراب في البشرية هو خروج آدم من الجنّة وهبوطه إلى الأرض وهذا ما يدلّ على كونه مصطلح قديم تعود إرهاصاته الأولى إلى بداية ظهور الإنسان " : فالاغتراب أصل في الإنسان منذ نزول أول البشريّين آدم وزوجته حوّاء إلى الأرض حيث ابتعدا عن الجنّة والرّفقة الأولى لهما تبعا للخطيئة الأولى التي ارتكب الإنسان فانسلخ عن الذّات الإلهيّة وعن مقرّه الأوّل ."[1]

وقد وردت كذلك بمعنى " التعبير عن حالة تهدف إلى نقلة روحيّة ، أو هجرة نفسيّة من الواقع الّذي يحياه الشاعر أو الكاتب ، إلى آفاق أخرى ، يتخذها بيئة يستلهمها أو موطنا يستوحيه ، ويعني بها الهرب من الواقع الصّناعي الّذي شهدته أوروبا مع طلائع الثّورة الصناعية ، وخلق حالة نفسية يركن إليها الأديب والبحث عن فضاء آخر يعيش فيها الكاتب". [2]

وقد لجأ معظم المغتربين من الأدباء إلى عوالم خياليّة يسود فيها الاطمئنان كاستحضار الشرق كمعادلة للتوازن النفسي بكل ما يحمله من طقوس ، سواء كانت دينيّة أم سحريّة وكانت " **ألف ليلة وليلة** " وعديد من كتب الرّحلات مرجعيات يستأنسون بها في غربتهم.

و يعتبر " هيجل " : " أنّ الاغتراب يعني انفصال الذّات الإنسانية ككيان روحي ينفصل عن وجوده ككائن اجتماعي ، كما اعتبره أيضا في طرح آخر تنازل الإنسان عن استقلاله الذّاتي ، وتوحده مع الجوهر الاجتماعي" [3]

مصطلح الاغتراب بهذا المعنى يحمل مدلولا فلسفيا خالصا ، فهو يبتعد عن الاختصاص العلمي لاعتبار "هيجل " استخدمه في بدايات الاهتمام به كمؤشّر للبحث .وبعد دخوله الاستخدام العلمي وردت له عدّة تعريفات أبرزها وأشملها:

تعريف " إجلال ا سري (1993) " حيث تقول ": الاغتراب اضطراب نفسي يعبّر عن اغتراب الذّات عن هويتها وبعدها عن الواقع وانفصالها عن المجتمع وهو غربة عن النّفس وغربة عن العالم وغربة بين البشر " [1].

[1] جديدي زوليخة – الاغتراب - مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة واد سوف ، ع 8 ، جوان 2012 ، ص348.
[2] محمد الهادي بوطارن ، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي ، مرجع سابق ، ص 24.
[3] جديدي زليخة ، الاغتراب ، مرجع سابق ، ص 348.

من هذه التّعاريف يمكن تعريف الاغتراب بأنه : هو الحالة الّتي يتعرض فيها الإنسان إلى الضّعف والعجز والانهيار في الشّخصية ، أي جانب إحساسه بالانفصال عن المجتمع والانسلاخ عن الثّقافة الاجتماعيّة السّائدة فيه.

2- ظاهرة الاغتراب في الفكر الإنساني:

2-1- في الفكر الغربي:

إذا كان مفهوم الاغتراب من المفاهيم الفكريّة الحديثة فإن جذوره ليست وليدة الحياة المعاصرة فهي تمتدّ عصور قديمة ونظرا إلى ما كتبه "النوري "في تتبعه لهذا المفهوم يتبيّن لنا مدى امتداد هذه الجذور إلى أزمنة سحيقة حيث نجده بشكل أو بآخر في الكتابات الفلسفيّة و اللاهوتيّة القديمة وكذلك عند الفلاسفة الإغريق القدامى ، ويطالعنا هذا المعنى في سفر التكوين في الدراما الإنسانيّة المتعلقة بخلق وسقوط الإنسان وانفصاله عن جنّة عدن ويتمتع هذا المفهوم بحيويّة عالية من الفكر الديني المسيحي.

ومنذ بداية استخدام لفظة الاغتراب قديما مرورا بالعصور الوسطى وحتى أوائل العصر الحديث ارتبط مفهوم الاغتراب بسياقات مختلفة وكلّ سياق له معنى ودلالة على الاغتراب منها :

أ – السياق الاجتماعي :

يمكن أن تفيد لفظة اغتراب ما يحسّه الإنسان من غربة في المجتمع الذي نشأ فيه ، وهذا الأمر ناتج عن تأزّم علاقته بالآخرين وفتور الاندماج اللّطيف معهم ومنه نلاحظ أن الاغتراب يكون بعد العلاقات الطبيعيّة الودّية لكن بعد ترهّل هذه العلاقات ينجم مفهوم الاغتراب.

ب – السياق النفسي السيكولوجي :

"يندرج ضمن هذا المعنى ما يصيب الفرد من اضطرابات نفسيّة وعقليّة أو غياب وفقدان الوعي أو شلل وقصور القوى العقليّة أو ما يقع نتيجة صدمة قوية "[1] هذه الاضطرابات تؤدّي بالفرد إلى الإحساس بالتّهميش وذلك نتيجة نبذ المجتمع له وتجاهله ما يخلق في نفسه عدم الشّعور بالانتماء

[1] جديدي زوليخة، الاغتراب، مرجع السابق، ص348.

.فالإنسان يكون مغتربا إذا نأى عن عقله أو عجز عن استخدام حواسه ومنه فالاختلال النفسي هو من أقس وأشد أنواع الاغتراب.

ج – السياق الديني :

وردت بهذا السّياق كلمة اغتراب بمعنى أن يحس الإنسان نفسه منفصلا عن الله تعالى من خلال ارتكابه للعديد من الآثام والخطايا ، ونجد أن لفظ اغتراب قد ورد في كافّة الأديان لأنّ الإيمان عنصر مهم لتحقيق الصّحة النّفسيّة للأفراد والمجتمعات فقد اعتبر الاغتراب قضية مهمّة تناولها المفكّرون والمحلّلون بإسهاب كبير حيث عدّ مسألة ملحّة شغلت الفكر الغربي سواء فيما يخص أسبابه ومظاهره أو فيما يتعلق بطرائق قهره.

ومن الدّارسين أيضا لظاهرة الاغتراب نجد "نومان"حيث يرى "أنّ فقدان الوحدة مع البنية الاجتماعيّة عقب هذه الوحدة الأصلية وإلى أن يتم تحقيق وحدة جديدة فإن علاقة الفرد بالبنية الاجتماعيّة تعد علاقة تنافر ...إلى اعتبار البنية الاجتماعيّة التي كان منتميا إليها من قبل شيء آخر بصورة كاملة وسينشأ عدم تطابق بين الوعي والذات والبنية ، وينظر الفرد الآن إلى البنية باعتبارها شيئا خارجا عنه ومعارضا له" [1] فانفصال الفرد عن مجتمعه الأصلي بمعنى المجتمع الذي نشأ فيه منذ طفولته يجعل منه إنسانا مغتربا.

وقد أرجع " شاخت " انعزال الفرد عن مجتمعه إلى كون ذلك الأخير شخصا خلاّقا يضع التقاليد موضع تساؤل وحيرة فيرغب في الخروج عنها ، والتمرّد عليها ، كما قد تكون أصالته الشّديدة سبب في اغترابه فكلما كانت عميقة ازداد اضطراره للاغتراب عن المجتمع.

يرى " فروم " أن الأشياء أصبحت غريبة عن الإنسان كما يقر" ياسبارز" أنّ العالم شيء غريب كموضوع للمعرفة فهو يقف على مبعدة منه ...وهو بالنسبة له آخر لا يشعر بالأمن فيه.

ويرى الشّاعر الألماني " ريلكة ": " أننا لا نحس بشكل وثيق في هذا العالم المضطرب "[2]

[1] ريتشارد شاخت "الاغتراب "تر: كامل يوسف ،حسين ،المؤسسة العربية للدراسات ،دار النشر، بيروت ،ط1 ،1980 ص 79 .
[2] المرجع نفسه ، ص 27.

وقد كانت الفلسفة سبّاقة في دراسة ظاهرة الاغتراب كون الفلاسفة قد خاضوا و جالوا فيها فنجد "هيقل "و" فيورباخ " و " ديكارت " وغيرهم من الأوائل الّذين ساهموا في إبراز الإبهام الّذي طال ظاهرة الاغتراب وسنفصّل في هذا الأمر في مشوار بحثنا من خلال علاقة الاغتراب بعلم الفلسفة.

2-2- في الفكر العربي:

لم يكن المجتمع العربي بمنأى عن ظاهرة الاغتراب شأنه في ذلك شأن المجتمعات الأخرى من خلال توجّه الإنسان العربي نحو الغرب . وفي بادئ الأمر كانت البيئة الغربيّة تربة خصبة للغربة والتّمرد ، وفي هذه الأثناء لم يكن مفهوم الاغتراب مصطلحا معروفا في الأواسط العربيّة وذلك نتيجة ارتباط معاني الغربة بالحيّز الجغرافي ، فعندما يضطر الإنسان إلى هجرة وطنه والابتعاد عنه لظروف معيّنة ، ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه ، يعيش وسط جماعة يأنس بها لذلك فقد حمل الإحساس بالغربة منذ أن بدأ يضرب في الأرض بحثا عن الكلأ .

ومنه برز موضوع الاغتراب في الشّعر العربي من خلال البكاء على الأطلال والحنين إلى الدّيار والماضي ، ولأنّ الشّعر مرافق لحياة الأفراد ، فقد عرف العرب الاغتراب قبل الإسلام ، " وفي عصر ما قبل الإسلام عرف الشعراء العرب الاغتراب والغربة لفظا وفكرا وإحساسا في حياة منفتحة انفتاح الصّحراء على المخاطر والمجهول . وامتلأت بالغزوات والصراعات كما امتلأت النفس البشرية بالقلق و التمزّق ، والتشوّق والتجاوز ومن مثل ذلك الطقس اللاّهب لم يكن عمر الشاعر سوى اغتراب أزلي استوطن روحه ، وأشعره أن الموت قاب قوسين أو أدنى منه" [1]

إنّ إحساس الشّاعر بالاغتراب ، شعور يختلف عن شعور الآخرين ، من حيث درجة حدّته وقوّة المعاناة ، شعور لا تخفى حدّته عند الشّاعر إلاّ بإخراج قناعته من حيّز الكتمان إلى حيز الوجود ، والتّعبير عن أحزانه و آلامه وإيصال صوته إلى الآخر في محاولة منه لإقناعهم بضرورة الانضمام إلى عالمه المليء بالحب.

3- الإسلام و الاغتراب:

[1] محمد راضي جعفر ، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر ، دار المعتز للنشر ، ط1 ، 2013 ، ص17 .

أما الاغتراب في الإسلام فقد ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال" بدأ الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء "[1] .أي أن الذين استجابوا للدعوة الإسلامية كانوا قلة مؤمنة وصفت بأنها غريبة في الوسط المشترك ، وقد زالت غربتها بعد انتصارهم و هزمهم للكفار لكن الإسلام لا يلبث أن يعود مرة أخرى عندما يجد المؤمنون أنفسهم قلة وسط المسلمين بسبب انتشار الفتن والشبهات.

ورد حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم بروايات متعددة تفسر معنى الاغتراب نورد هذه الروايات فيما يأتي :

1* " بدأ الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدأ فطوبا للغرباء قيل : و من الغرباء يا رسول الله ؟ قال :الذين يصلحون إذا فسد الناس" [2]

2* " بدأ الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يحبون سنتي و يعلمونها للناس".[3]

3* " بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، قالوا : و من الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يزيدون إذا نقص الناس " .[4]

يتضح من خلال هذه الروايات التي جاء بها هذا الحديث الشريف ، أن الغرباء فئة قليلة من أهل الصلاح و التقوى ، وهي التي استجابت لرسول الله صلى الله عليه و سلم وابتعدت بنفسها عن الشهوات و مغريات الدنيا ، فقد زالت الغربة عن الناس حيث ظهر الإسلام ودخل الناس في دين الله ، لكن هذه الاستجابة خلفت للدعوة المحمدية نزاعا من القبائل وأصبح هذا المستجيب غريبا في حيه و قبيلته. وكان المسلمون في بداية الدعوة المحمدية الشريفة مستضعفين متشردين خرجوا من ديارهم وهاجروا من بلادهم فكانوا غرباء بين الناس فلم يعرفوا طعم الاستقرار بل ضاقوا ويلات الغربة.

[1] محمد راض جعفر ، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر ، المرجع السابق، ص 18.
[2] ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج 3 ، القاهرة 1292 هـ ، ط 1 ، ص 122.
[3] المصدر نفسه ، ص 122.
[4] المصدر نفسه ، ص ن .

وقد كان المفكرون والفلاسفة العرب أيضا من أشد الناس معانات لمختل هروب الاغتراب و العزلة في حياتهم ، " فالفارابي " مثلا كان " منفردا بنفسه ، لا يجالس الناس ، وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل ، بأمر مكسب ولا مسكن، وأحرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم ، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته "[1] فاعتزال الناس عن الحياة هو أحد النتائج الشعورية للاغتراب ، وهذا ما يعلل لنا سبب تأليف "الفارابي" المدينة الفاضلة فهي لون من الهروب من الواقع ملائم جدا لعزلته.

وما نستنتجه من خلال ذلك أنه لم يكن راضي عن واقعه المعايش ، واغترابه نابعا من تجربته الحياتية كما قدم صورة صادقة عن الغريب ، حيث يمسك ريشته محاولا رسم هذا الغريب ويقدم صورة صادقة عن ملامحه" : الغريب من لبسته خرقته ، وأكلته سلقه (...) ، والغريب من غربت شمس جماله (...) يا هذا الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة (...) الغريب من حضر كان غائبا ، وإن غاب كان حاضرا..."[2]

كما كان أبو حيان التوحيدي مثالا للمثقف في مجتمعه الذي خاب أمله ورجاؤه فيه ، " فهو لم يحظ بالمكانة المرموقة التي تليق بمنزلته ولذلك استوحشت حياته وعاش غريبا في مجتمعه " [3]

كما نجد " ابن طفيل " يجسد اغتراب الإنسان في قصته" حي بن يقضان "وذوبان هذه الغربة بالطبيعة فيصور " تخطيه هذه الغربة ليلتحم بالطبيعة فتكون الطبيعة وما فيها من حيوان و نبات أهلا له ، حتى يتطور و تنمو مداركه ويصل إلى الكلام ، ومن ثمة يسمو إلى الحقيقة التي أولها معرفة الله" [4]

[1] محمد ناصر الدين الألباني ، " ضعيف الجامع " مركز نور الإسلام لأبحاث القران و السنة ، الإسكندرية ، مصر ، د ط، ص 54 .

[2] حسن محمد حسن : الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي . دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي ، مجلة فصول القاهرة، العدد الثالث ، 1995 ، ص 72.

[3] بن علي قريش " الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1945) رسالة دكتوراه ، جامعة الجيلالي إلياس ، سيدي بلعباس ، 2006-2007 ، ص11 .

[4] عادل الألوسي "العبقرية و الاغتراب " دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2003 ، ص 63 .

و قد استخدم متصوفة الإسلام مصطلح الاغتراب وهو عندهم ظاهرة ايجابية لأنهم وجدوا فيه الطمأنينة و السكينة وراحة القلب . لذلك كانوا حريصين على التقرب إلى الله . والصوفية مغتربون عن ذواتهم وعن مجتمعاتهم ، فغربتهم روحية وهم يفنون ذواتهم للوصول إلى الذات الإلهية.

و من هنا اختلف اغتراب الصوفية عن اغتراب غيرهم لأنهم على العكس من المغتربين الآخرين لا يعانون من العذاب و الألم والقلق . ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي الذي يغلب عليه الشعور بالغربة الكونية لدرجة تجعلنا نستنشق معها نزعة عدمية قوامها الهرب من هذا الوجود الحسي الأرضي بوصفه غريبا . وذلك بالرجوع إلى الله تعالى .

4- الاغتراب و الأدب :

يعد الاغتراب ظاهرة نفسية يعيشها الأفراد و الجماعات ، و قد أول لها المبدعون أهمية قصوى من خلال تناولها على صفحات نصوصها ، بل أنهم تبنوا الظاهرة و عاشوها ، بحكم رفاهة مشاعرهم، فالإنسان المبدع هو أكثر الناس عرضة لمشاعر الاغتراب بحكم تركيبته الخاصة.

"كلّ عمل أدبي أو فني لابد من أن نعثر فيه على جذور الاغتراب مند أقدم العصور حتى الآن ، مع التأكد على أن الاغتراب يميل نحو التضخم و التشعب كلما تقدمنا إلى الأمام "[1] هذا بسبب تطور العوالم والأسباب التي ساهمت في نمو ظاهرة الاغتراب .

و قد انتقل مفهوم الاغتراب في مجال الفلسفة إلى الأدب و هذا ما مثله الوجوديون في أعمالهم الروائية والمسرحية ، إذ يمكن أن نصف الأدب الوجودي بأدب الاغتراب ، فمعظم الأعمال الأدبية التي كتبها الوجوديون تصور العالم على أنه زنزانة أو سجن كبير ، ومن الروايات التي طرحت أزمة الوجود الإنساني رواية" الغريب ل"ألبير كيمي(albert camus) "

و قد عالج الروائيون العرب أيضا ظاهرة الاغتراب في أعمالهم ، إذ أصبح الاهتمام بهذه الظاهرة يأخذ مكانة في الرواية العربية التي أصبحت تعبر عن الواقع السياسي و الاجتماعي المتدهور، فالأديب يتأثر بما يحدث في هذا الواقع من خلال التجارب والخبرات التي يكتسبها فتتراكم في ذاكرته مؤثرة على وعيه ومع مرور الوقت سيستوعب و يدرك الواقع المحيط به وهذا ينعكس في نتاجه الأدبي

[1] إبراهيم محمود " حول الاغتراب الكاف كاوي ، رواية المسخ نموذجا ، مجلة عالم الفكر ، ص 85.

و قد تناولت الرواية العربية الاغتراب في جانبيه المكاني و النفسي ، و من ذلك : رواية "عصفور من الشرق" "لتوفيق الحكيم " و رواية " موسم الهجرة إلى الشمال" "للطيب صالح "و رواية "ستة أيام" "لحليم بركات."

هذه إذا بعض الروايات العربية التي جسدت الاغتراب المكاني و النفسي الذي عانى منه الأديب العربي نفسه و جسده في رواياته.

وخلاصة القول أن الاغتراب ظاهرة إنسانية ملازمة لوجود الإنسان استطاع أن يعكسها في الأدب ، وهو يحمل دلالات أكثر عمقا و اختلافا كلما تطورت الحياة البشرية و تنوعت الظروف و العوامل المؤثرة فيه.

5- الاغتراب في الحقول المعرفية:

5-1- في الفلسفة :

يعتبر الاغتراب من القضايا المهمة التي شغلت الفكر الإنساني ، حيث نال اهتماما كبيرا من طرف المفكرين والفلاسفة الذين انشغلوا بتحديد معناه وتبيان أسبابه و خباياه والنبش في مظاهره المتعددة والبحث عن طرق قهره.

و من بين أبرز الفلاسفة الأوائل الذين تطرقوا لمفهوم الاغتراب "جان جاك روسو" "هيقل" كارل ماركس"،"فيورباخ" "ديكارت" " طوماس هوبز " نحاول عرض أقوالهم و أرائهم في ما يأتي:

يعد " جان جاك روسو (1712-1778) Jean Jack Rosso " أول من استعمل كلمت اغتراب صراحة في مؤلفه " العقد الاجتماعي " حيث قال: " إن الاغتراب معناه التسليم أو البيع ، فالإنسان الذي يجعل من نفسه عبدا لآخر، إنسان لا يسلم نفسه و إنما هو بالأحرى يبيع نفسه من أجل بقائه على الأقل "[1]ومن اليسير ملاحظة ما أنطوى عليه التعريف من جانب إيجابي يتجسد في تسليم الإنسان ذاته إلى الكل والتضحية بها في سبيل هدف نبيل وكبير كقيام المجتمع أو دفاعا عن الوطن.

[1] جان جاك روسو " العقد الاجتماعي " نقلا عن محمد راضي جعفر .الاغتراب في الشعر العربي المعاصر ص 25 .

ومنه فالاغتراب عند " روسو " يؤسّس للعقد الاجتماعي الّذي تختزل مواده كلّها في واحدة ، "أي الاغتراب الكامل بكل حقوقه لكلّ الجماعة البشريّة ، فكلّ يمنح نفسه كاملة والوضع واحد للجميع حيث يتحقّق الاغتراب بدون تحفّظ والوحدة تامّة في حدود الإمكان والكلّ ينتقى لأنه يضع نفسه تحت تصرّف الجميع إلاّ أنّه لا يملك لأحد" [1]

نظر " روسو " إلى موضوع الاغتراب كإشكالية تخصّ الفرد بمعنى مصاحبة له، وذلك في علاقته بالمجتمع و هي تعني عنده التّخلي عن الذّات للأنا الاجتماعي.

"لقد استخدم " جان جاك روسو " المصطلحات الفرنسيّة المقابلة لمصطلح المغترب لجبروتس ومصطلح التّبرؤ أو الإنكار ل "هوبز ."فهو لا يجد إحراجا عند استخدام إحداهما للآخر، ويتناولهما على أساس أنّ معناهما متبادل مثال ذلك قوله : اغتراب حريّة الشّخص وإنكار حريّة الشّخص " .[2]

و من هذا المنطلق ينظر " روسو " إلى الفرد على أنّه تابع للجماعة ، حيث من الضّرورة أن يقدّم لها شخصيته وقواه كأنه يسلّمها للإرادة العامّة والتوجيه الأعلى بمعنى يصير الفرد جزءا لا ينفصل عن الكل . وهكذا حتى تكتمل عمليّة التّخلّي التّدريجي عن الحريّة الطّبيعيّة للشّخص وكذا التخلي عن حقوقه ليندمج في الجماعة ، ومن ثم يقدم نفسه كآخر لا كذات مستقلّة . وهنا يحدث الاغتراب حسب روسو.

فريديريك هيقل : (1770-1831) Friderick Higel كان هيقل هو الآخر من السّباقين الذّين حاولوا فهم ظاهرة الاغتراب والتّعمق في معناه.ومعه أخذ اتجاها مغايرا لما كان عليه عند سابقيه ، فهو عنده " : يفيد عمليّة تحول الإنسان من شخصية أبسط إلى شخصية أغنى بمعنى أنّ العقل المطلق قد خلق الطّبيعة و الإنسان ، فطرح جزءا من نفسه ، و صار هو نفسه هذا الجزء من خلال سيطرة العقل المتناهي الذي هو الإنسان ، على الطبيعة ، وليس التاريخ إلاّ محاولة الإنسان الدّائبة لمعرفة الطّبيعة والسّيطرة عليها " [3]

[1] محمد الهادي بوطا رن ، الاغتراب في الشعر العربي الرومنسي، مرجع سابق ص29.
[2] المرجع نفسه ، ص 29.
[3] المرجع نفسه ، ص30.

إن أول من استخدم مفهوم الاغتراب استخداما نسقيا ببحثه في طبيعة الإنسان وبذلك جعل الفردية أساس الإنسان من جهة ولكن مع ذلك فإن هذه الفردية هي أحد جوانب هذه الطبيعة ، ومنه " فهيقل " يعارض الرّأي القائل أنّ طبيعة الإنسان تتألف بشكل خالص من خصوصياته الشّخصية ويقرّ بأن الفهم السّليم لهذه الطبيعة ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار عقل الإنسان ، فالعقل في تصوّره يتجاوز الخصوصية .

ويعتبر أيضا أول من تطرق لمفهوم الاغتراب واستخدمه استخداما منهجيا وعلميا.حيث اهتم في معظم مؤلفاته بمصطلح الاغتراب حتى أطلق عليه أبو الاغتراب ويعتبر رائدا في مجال الكتابة عن الاغتراب.

تحوّل الاغتراب على يد هيقل من مجرّد شكل أو فكرة إلى مصطلح فني ومفهوم دقيق يستخدم عن قصد إذ يعتبر أول من استخدمه في فلسفته على نحو منهجي مقصود وذلك في مجمل مؤلّفاته مثل ظاهريات الروح أو ظاهريات العقل، " و يعني بالاغتراب ذلك الاستخدام الّذي يتيسر إلى سلب كل الحريّة والمعرفة، وقد انصبّ اهتمامه بالاغتراب على هذين البعدين : بعد سلب الحريّة وبعد سلب المعرفة "[1] وخلص إلى نوعين من الاغتراب هما:

أ –اغتراب الخضوع :

وفيه تكون الذّات منفصلة عن توجيهها الخاص وخاضعة للتوجيه العام الصادر عن العقل الموضوعي .ويقصد به أن علاقة الإنسان بالبيئة الاجتماعية هي علاقة وحدة كاملة تتّسم بالفوريّة والتّلقائية ، إذا فهيقل يعتقد أن الاغتراب عن البيئة يفرض على الإنسان اغترابا آخر هو الاغتراب عن الذات (الخضوع) فافتقاده لكلّيته ينتج عنه تغريب نفسه عن طبيعته الجوهرية.

ب –اغتراب الانفصال :

هو عكس الأوّل بحيث تنفصل الذّات عن العالم الخارجي تسلب معرفتها بالعقل الموضوعي وتصبح خاضعة للتّوجيه الخاص ، ويقصد به أنّ الفرد لديه انتماء فوري وتلقائي للاتحاد بما يسميه

[1] موسى كراد ، الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الأخيرين في القرن 20 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2016-2017 ، ص28.

(البنية الاجتماعية) ، لكن هناك ظروف وصراعات توقف اندماج الفرد مع هذه البنية ممّا يجعل الفرد مستقل ، والإفراط في الاستقلال الذّاتي عن البنية يؤدي إلى التّنافر وبالتالي الانفصال عنها ومن ثمّة يتحقق الاغتراب.

تمثل الحريّة بعدا أساسيا لقضية الاغتراب عند " هيقل " ، " فقد ربط موضوع الاغتراب بقضيّة الحريّة و يفصّل بين نوعين من الحرية : جانب سكوني و جانب حركي ، فجانبها السّكوني يرتبط بالخضوع للعقل الموضوعي ... وهذا الجانب يرتبط مباشرة بقضّية ارتباط الخضوع عن طريق المعرفة وهذه هي العلاقة الجدلية بين الحريّة والاغتراب من ناحية والحريّة والضّرورة من ناحية أخرى التي يفسرها الجانب الموضوعي للحريّة عند هيقل"[1]. في حين نجد أنّ الجانب الثّاني للحريّة مرتبط بالحرية الرّوحية الباطنة الّتي نصادفها لدى رجال الفكر.

و من هنا يمكن القول أنّ " هيقل " قد ميّز بين أنواع عديدة من الاغتراب على مستوى الشّخصية والنّظم الاجتماعية والثقافيّة ، ولعلّه قد أثار بذلك قضية جوهرية لها تأثيرها الواسع بالفكر الحديث والمعاصر للاغتراب ، فالإنسان المغترب بالمعنى التاريخي عند " هيقل " هو ذلك الإنسان الذي يعيش في عالم ميت استثنائي ، عالم وصفه " هيقل " بأنه حياة متحركة للأموات.

وخلاصة القول إن ظاهرة الاغتراب تدخل في نسيج واقعنا الإنساني والاجتماعي والنّفسي و إن كنا لا نعيها بشكل مباشر إلاّ أن فعلها يبقى مؤثّرا وجوهريا في مجتمعاتنا الاستهلاكيّة وما المحاولات التي بذلت من أجل إيضاحها إلا تعبيرا بسيطا عن جوهر الإنسان ومقدار ما يمكن لظروف معيّنة قد نصنعها أولا نصنعها لكن بالتأكيد لا نعيها أن تبعدنا عن هذا الجوهر الذي هو نحن بالتحقيق.

4-2- الاغتراب عند علماء الاجتماع:

تناول علماء الاجتماع قضيّة الاغتراب و أعطوا لها تحليلا وبعدا اجتماعيّا .ف"دور كايم " يرى بأن اغتراب الفرد مرتبط بسبل معرفته بالعقل الجمعي ، إذ ربط ظاهرة الاغتراب بسلب المعرفة .

[1] محمد الهادي بوطا رن ، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي ، مرجع سابق ، ص32.

كما يرى بأنّ " المجتمعات الحديثة أصبح فيها الفرد لا يشعر بالانتماء جرّاء تفكك القيم والمعايير الاجتماعية بحيث لن تتمكن من السيطرة على السلوك الإنساني وضبطه"[1] حيث أصبح الإنسان يعاني القلق والحزن والخوف بسبب طغيان النّزعة الفرديّة في المجتمعات الحديثة.

فقد تناول " دوركايم (1858—1917) Emile Durkheim " الاغتراب في تجلّياته ، و أرجعه إلى ما أسماه تلاشي المعايير Anonue حيث اعتقد " : أنّ سعادة الإنسان لا يمكن تحقيقها بصورة مرضية ما لم تكن حاجياته متناسبة أو متوارثة مع الوسائل التي يملكها لإشباعها ، فإذا كانت الحاجات تتطلب أكثر مما يستطيع أن ينال ، أو أنها تشيع بطريقة مناقضة لما يحقّق رضاه فإنّه يشعر بألم وخيبة " [2] بمعنى أن غياب العلاقات الإيجابية مع الآخرين يؤدّي إلى الاغتراب.

كما ميّز " ميلفن سيمن " بيّن خمسة أنماط من الاغتراب النّاجم عن شعور الفرد بالعجز عن "التأثير على نحو يعتد به في الأحداث والهياكل السياسية والاجتماعية "[3] لكن عادة ما تكون هذه الأحداث والظروف مترسّخة بحيث لا يمكن للفرد مهما حاول أن يؤثر فيها ليحصل على النتائج التي يبغيه كما أن المجتمع يسيطر عليه قيم ومعايير خاصة وما على الفرد إلاّ الاهتداء بها حتى يكون على يقين تام الحياة داخل مجتمعه . ومن هنا يغترب الإنسان عن القيم السائدة فيه.

وهناك العديد أيضا من علماء الاجتماع الذين توسّعوا وخاضوا في مفهوم الاغتراب من بينهم "أوغست كونت " ، " ماكس فيبر " ، " مارسيل موس " "ادوارد ميرتون " ، " كلود ليفي ستروس"

وفي الأخير نصل إلى أنّ اغتراب الفرد مرتبط بمجتمعه ، أي أن الاتّزان العقلي والنجاح في الحياة يتحقّق باتزان علاقة الفرد بمجتمعه.

4-3- الاغتراب عند علماء النفس:

تتعدد الدراسات في علم النفس وعلم الاجتماع وتتسع بحيث يتخذ الاغتراب دلالات نفسية واجتماعية عدّة.

---

[1] موسى كراد ، الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الأخيرين في القرن 20 ، مرجع سابق ، ص 36.
[2] محمد الهادي بوطا رن ، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي ، مرجع سابق ، ص28.
[3] بسام خليل خديجة ، الاغتراب في أدب حليم بركات ، مجلة فصول المجلد 4 ، العدد الأول ، 1983 ، ص 225.

إن أول ملاحظة تواجه الباحث عن مفهوم الاغتراب في علم النّفس هو اختلافه من باحث لآخر ، حيث نجد بعض الباحثين يعرّف الاغتراب بأنه" شعور بالوحدة أو الغربة ، وانعدام العلاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من الناس".[1] بمعنى أن أساس هذه المشاعر المغتربة نابعة أصلا نتيجة عدم قدرتهم على خلق علاقات مع الغير بسبب نظرتهم أو تصوراتهم عن الأخر.

ويعد " سيغموند فرويد (Singmund Freud 1856- 1939) " من ابرز علماء النفس الذين ناقشوا هذه الظاهرة باستخدام مصطلحات علمية دقيقة :الأنا و الأنا الأعلى و الهو.

فهو يرى أن دور الأنا يكمن في محاولة إخلال التوازن بين " الأنا الأعلى"و " الهو" . وذلك عن طريق معرفته " بالأنا الأعلى " أو العالم الخارجي، فكلما كانت معرفة " الأنا " " بالأنا الأعلى " (العالم الخارجي) قوية، زاد خضوعه لهذا الأنا الأعلى ، وبالتالي عمل على سلب حرية الهو التي تكون معارضة للأنا الأعلى فيصبح بذلك الهو مغتربا.

ومن هنا سينشأ الاغتراب عند " فرويد " نتيجة لضياع " الأنا " بين" الهو"و " الأنا الأعلى " المتصارعين وسلب الحرية لهذا الأنا مرّة ، وسلب معرفته مرّة أخرى.

وما يمكن قوله أن " فرويد " استطاع أن يصل للحقائق التالية :

1- اغتراب الشعور :

فالخبرات تم كبتها لتقليل الألم الناتج منها ، وكذلك فإن تذكرها أمر صعب يحتاج إلى مجهود كبير للتغلب على المقاومة التي تحول دون ظهور هذه الخبرات إلى الشعور .وبذلك يغترب الشعور عن الخبرات المكبوتة والمقاومة هنا مظهر من مظاهر اغتراب الشعور.

2- اغتراب اللاشعور :

حيث يشير " فرويد " إلى أن الخبرات المكبوتة تبدأ حياة جديدة شاذة في اللاشعور وتبقى هناك محتفظة بطاقتها.

[1] كمال الدسوقي ، ذخيرة علوم النفس الدار الدولية للنشر و التوزيع ،القاهرة ، ط1، 1988 ، ص77.

وخلاصة القول إن الاغتراب يحمل دلالات نفسيّة واجتماعيّة عدّة ، فهو حالة سيكو اجتماعية ناتجة عن تأثير الجماعة والأوضاع الاجتماعيّة في الفرد ، وصراع هذا الأخير مع مجتمعه.

المبحث الثاني : أنواع الاغتراب:

إن مفهوم الاغتراب إشكالا واجه الدّارسين في تحديد مفاهيمه وضبط زواياه ، وذلك بالنظر إلى الغموض الذي كان يكشفه فإن أشكاله وأنواعه كانت أكثر منه غموضا وتعقيدا ، لأنه ليس هناك شيء يسمى الاغتراب الشامل الذي يجمع سائر الأنواع معا.غير أن هناك أنواع من الاغتراب لا تعد ولا تحصى، كانت موجودة ولا تزال موجودة ، ولعل علماء الاجتماع والفلسفة الاجتماعيين يحسنون صنعا إذ وجّهوا اهتمامهم إلى هذه الأنواع . سوف نحاول قدر الإمكان التطرق إلى أهم هذه الأنواع وأكثرها انتشارا لتبيين مداها وخصوصياتها.

1- الاغتراب الاجتماعي:

لا يمكن للإنسان أن يعيش منعزلا عن غيره ، فهو بصدد الاندماج مع الآخر المتمثّل في المجتمع ، فلقد خلق الله الإنسان ، وأوصاه بالتّواصل مع الغير من خلال قوله تعالى " : يا أيها الذين امنوا إنّ خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم إنّ الله عليم خبير "[1] [سورة الحجرات الآية13].

يرى ماركس " أنّ اغتراب الإنسان عن البشر الآخرين يرتبط أيضا بالمفاهيم السّابقة على اغتراب الإنسان عن نشاطه و إنتاجه و ذاته ، فإن واجه الإنسان ذاته فإنّه يواجه الآخر، وما ينطبق على علاقة الإنسان بعمله ، وناتج عمله وذاته ينطبق أيضا على علاقته بالإنسان الآخر وبعمله وموضوع عمله "[2] ومنه نفهم أن اغتراب الفرد عن نفسه ينتج عنه اغترابه عن مجتمعه.

وعلى النّقيض من ذلك المغترب يرى " هاربرت ماركيون " " أن الإنسان المعاصر قد اندمج في المجتمع اندماجا كاملا لا يسمح له بأن احتفظ لنفسه ببعد داخلي خاص به حيث أصبح " ذا بعد

[1] سورة الحجرات ، الآية 13 ، ص 517.

[2] يحيى عبد الله ، الاغتراب ، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائي، مرجع سابق، ص73.

واحد " وهو البعد الذّي يريده النظام الاجتماعي القائم ، و الذي من خلاله يتواجد الفرد مع مجتمع شبه كامل ، فالإنسان في هذا المجتمع يوجد فحسب من اجل شخص آخر كما أن الآخر يوجد من اجله طالما أن كلاّ منهما يصبح وسيلة بالنسبة للآخر" [1] .

خلص كارل ماركس (1883—1818) في نقده الاجتماعي والاقتصادي إلى " أنّ التناقض ليس بين الدّولة وبين البرجوازية كما كان يرى" هيقل " بل أن التناقض في صراع المجتمع البرجوازي الداخلي أي في صراع الطّبقات ، فالظروف الاقتصادية والاجتماعية الخاصّة بفائض القيمة هي التي أفضت إلى نشوب اغتراب الإنسان "[2].

و يؤكد " هيقل " في كتابه (فلسفة الحق) " أن الأساس المادي للانتماء يكمن في المؤسسات الاجتماعية فحسب ، فهي وحدها التي تجعل الانتماء ممكنا ، فالوحدة مع البنية الاجتماعية شيء جوهري بالنسبة للإنسان في النظام الأخلاقي الاجتماعي يحقق الأفراد بصفة محلية جوهرهم الخاص أو انتمائهم الداخلي "[3].

يرى " أرسطو " في كتابه السياسة " أن كل من كان غير قادرا على العيش في المجتمع أو لا حاجة به لذلك لأنّه مكتف بنفسه . فإنه إما وحش أو إله فيرد انعزال الفرد عن مجتمعه إلى الدوافع الإنسانية أو الأنا العليا والسّفلى التي تناولها بعد ذلك " فرويد " دون أن يكون أرسطو فلسفته الخاصّة دون نظرية الاغتراب الاجتماعي "[4].

فبالعودة إلى بدايات تكوّن هذه الظاهرة فطالما أن الإنسان في حالته الطبيعية الأولى يتقبل عالم الحواس بصورة سلبية ويعيه عن طريق الحواس فقط فإنّه يظل منتميا لذاته و لأنه هو نفسه ينتهي إلى هذا العالم ، والتي يكون هناك عالم بالنسبة له . وبالتّالي فإن انقطاع فذ الإنسان مع عالمه يؤدّي إلى وجود تنافر بينهما.

[1] يحي عبد الله ، الاغتراب ، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، مرجع سابق ،ص ن .
[2] المرجع نفسه، ص29.
[3] المرجع نفسه، ص73.
[4] المرجع نفسه ، ص25.

"أما " شاخث chakhet " فيعزو انعزال الفرد اجتماعي إلى كونه شخص خلّاق فربما بحكم كونه كذلك شخص غير متوافق ، يضع التقاليد موضع التساؤل أو يخرج عنها وكلّما كانت أصالته أكثر عمقا ازداد عمق اضطراره للاغتراب عن مجتمعه " شاخت 1980 "[1]

ومنه فإنّ الاغتراب الاجتماعي يتبلور نتيجة إحساس الإنسان بكونه فريدا من نوعه واستثنائيا ليس في حاجة للغير و أنّ تقاليد مجتمعه تقيّده و تسلبه حريته وتقمّع ايديولوجياته.

2- الاغتراب النفسي :

هو مفهوم عام وشامل ، يشير إلى الحالات التي يتعرض لها الشخص . بتأثير من الواقع والمجتمع والعمليّات الثقافية والاجتماعية . حيث تفقد الشخصية الإحساس المتكامل بالوجود ، ويرجع هذا إلى حالات نفسية يمر بها الفرد في حياته اليومية مثل الاضطراب النفسي ، والتناقضات والأزمات ما يؤدّي إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية.

" الاغتراب النفسي هو اغتراب عن الذات أيضا حيث يرتبط ارتباطا موحيا بالاغتراب عن المجتمع ومنهم من يذهب إلى أن الاغتراب غربة عن الذات "[2]. أي أنه ظاهرة نفسية يشعر الفرد من خلالها بالعزلة والضياع وعدم الشعور بالمجتمع الذي ينتمي إليه.

ويتمثّل أيضا في " : شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين أو عن الذات أو كليهما ، وفقدان الشعور بالانتماء وعدم الالتزام بالمعايير وبالعجز وعدم الإحساس بالقيمة ، وفقدان الهدف ، وفقدان المعنى ، والتمركز حول الذات"[3]. فينتج عن هذا الإحساس نوع من القلق والتوتر والإحباط والتشاؤم وغيرها من الضغوطات النفسية.

[1] يحيى عبد الله ، الاغتراب ، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائي ، المرجع السابق، ص25.
[2] جديدي زوليخة ، الاغتراب ، مرجع سابق ، ص 351.
[3] رغداء نعيمة ، الاغتراب النفسي و علاقته بالأمن النفسي ، دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق ، المجلد 28 ، 2012 ، ص 120.

فالاغتراب عن الذات كما يرى علماء النفس " حالة من حالات الصّراع النفسي تؤدي إلى الإحساس بفقدان الهويّة والشعور باختلال الشخصية "[1] وهو الحالة التي يصبح فيها الفرد غير مدرك لما يشعر به.

كما تقول أيضا " يمنى طريف " بأنّ " الاغتراب النفسي يتمثّل في انفصام الذات عن ذاتها لتغترب عنها كآخر"[2] أي شعور الفرد بأنّه لا يعرف نفسه ، وعجزه عن إقامة علاقات مع مجتمعه.

وهكذا فإنّ اغتراب النفس يتضمن انعدام الصّلة بين الفرد وجزء حيوي وعميق من نفسه أو ذاته . فماهية الإنسان بما هو إنسان تكمن في تلك الحقيقة.أي من خلال أفعاله.

إذا فالاغتراب النفسي ظاهرة شائعة في كثير من المجتمعات ، فهي في بعض الأحيان تعدّ حالة مرضية أو أزمة ومعاناة يمر بها الإنسان المعاصر و إن تعدّدت لأسبابها و مصادرها.

3- الاغتراب السياسي:

وهو من أكثر المفاهيم انتشارا وبخاصة استخدامه في العلوم الاجتماعية المعاصرة كالسياسة وسلوك التصويت في الانتخابات ووضع القرارات السياسية.

فهو شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية السائدة في بلده والممارسة الاجتماعية التي تجري في مجتمعه . ذلك أنّ مجموعة الممارسات الاجتماعية في مجتمع ما هي ممارسات إيديولوجية في الأساس . كما يعني " عدم الفعالية السياسية التي تتجلى في اللامبالاة كاستجابة لعدم الوعي أو فقدان القدرة والقوة ، والشعور بعدم الراحة أو المتعة كتعبير عن عدم الرضا وفقدان الثقة بالسلطة"[3] هذا النّوع راجع إلى طبيعة العلاقة بين المجتمع والسلطة فبدل أن تكون الدولة خادمة للشعب نجد العكس ، أصبح الشعب نفسه خادما لها، وأن الدولة هي التي أصبحت بحاجة إلى مواطنين.

---

[1] فاطمة حميد السويدي ، الاغتراب في الشعر ، ط 1 ، مكتبة مدبولى ، 1997 ، ص 159.

[2] بو نداوي كتيبة ، بن حموش سعيدة ، اغتراب الذات في الرواية الجزائرية ، رواية خيام المنفى ، لمحمد فتيلينة ،أنموذجا، مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في الأدب العربي ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية 2017 -2018، ص 29.

[3] دانيال علي عباس ، الاغتراب النفسي و علاقته بالتحصيل الدراسي ، رسالة ماجيستير في علم النفس التربوي ، جامعة دمشق 2015 – 2016 ، ص 37.

ويعود أيضا إلى وجود أسس تعود بالفائدة للدولة لا للشعب . وبهذا يعاني الفرد العجز في وجوده وحتى في نظرته إلى حياته و دوره في صنع مجتمعه . وكذلك الاغتراب السياسي لا يمثل فقط الاغتراب عن السلطة السياسية ، بل أنه يمثل كل الاتجاهات السلبية نحو عموم هيئات المجتمع.

أما فريدريك هيقل رأى بأنّ الاغتراب السياسي الذي كان نتاج طغيان النّظام السياسي سيقترن بالاغتراب الديني الذي هو نتاج سعي الكنيسة لانتزاع الفرد بعيدا عن الأرض والواقع باتجاه واقع ما ورائي.

"فالدين والسياسة عنده لعبا لعبة واحدة . إذ أنّ الدين قد علم الإنسان ما أراد الطغيان أن يلقنهم إياه وهو احتقار الإنسانية ... "[1] لذلك دعا" هيقل " إلى العمل السياسي المدعوم بما أسماه الدين الذاتي.

إذا فالاغتراب السياسي تعدّدت أشكاله ومظاهره ، حيث وقع على العديد من المكونات كالعجز السياسي ، والعزلة السياسية والتصويت في الانتخابات كما أنه يرتبط بالعديد من المتغيرات النّفسية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ... الخ.

4- الاغتراب الاقتصادي :

يعدّ العمل و الإنتاج الجوهر الأساسي للعملية الاقتصادية ، والتي يتميز بها الإنسان عن الحيوان . حيث يمكن فهم الاغتراب الاقتصادي في ضوء محاولات " كارل ماركس " للرّبط بين الشّعور بالاغتراب وظروف العمل.

برز هذا المفهوم على يد " كارل ماركس " ، و أول من اهتمّ بالعلاقة بين الاغتراب والنظام الاقتصادي ، حيث اعتقد أن عملية التقدم الصناعي في المجتمعات الرأسمالية جعلت حياة البشر أكثر فسادا وليست لها معنى . كما عبر أيضا عن الشّخص المغترب اقتصاديا بوضعه في مكان يعمل به من غير متعة أو إحساس بأنّه عنصر فعال مثله مثل الآلة التي لا تؤثّر في قرارات بيئة العمل.

[1] محمد راضي جعفر ، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 27.

وعليه فإنّ الاغتراب الاقتصادي هو شعور الفرد أو العامل بانفصاله عن عمله بالرّغم من وجوده كفرد ، وشعوره بالعجز والملل والكآبة.

ويتمثّل اغتراب النّاتج عن العمل في انفصاله عنه من خلال تسليمه ، ويصف " ماركس " العمل بأنه يعد مغتربا حينما يكف عن عكس شخصية المرء واهتماماته ويقع بدلا من ذلك تحت سيطرة إرادة غريبة " [1].بمعنى أن الشخص يصبح تحت سيطرة شخص آخر.

ولعل من أهم مسببات الاغتراب الاقتصادي هي طبقة الأغنياء الذين يحوّلون الإنسان إلى أداة تساعدهم في تحقيق طموحاتهم المادية . حيث أنّ لهم كل شيء القوة و المال و العنف ، و هم يسرقون بصفة قانونية ، لكن في الحقيقة هذه الطّبقة الغنيّة تعاني من اغتراب يتجاوز اغتراب الفقراء ، بسبب تقديمهم الميادة عن الرّوح ، ليدخلوا بذلك أنفسهم في حالة من الجشع ، بسبب تلك الملايين من الدّنانير التي تقض حاجاتهم.

إذا ما يمكن قوله أنّ الاغتراب الاقتصادي هو شعور الفرد بالانفصال والعجز عن العمل . والإنسان إذا ما عايش مشاعر الاغتراب في الوسط الذي يعمل فيه سيعمّم على حياته النّفسية و الاجتماعيّة و بذلك يفقد علاقاته الاجتماعية، الشّيء الذي يبعده عن الآخرين و يجعل منه كائنا بعيدا عن إنسانيته.

5- الاغتراب الديني:

يعتبر الدّين ضرورة حياتية في الوجود الإنساني ، فالإنسان تربطه علاقة روحية بربه ، لكن حين يتوقّف الإنسان عن طاعة الله وعبادته تنقطع هذه العلاقة الروحية ويحدث الانفصال والابتعاد ، وهذا ما يسمّى بالاغتراب الديني حيث يغترب الإنسان عن دينه ما يتسبّب في فتور تلك العلاقة الربّانية.

ورد مفهوم الاغتراب الدّيني في الأديان الثّلاثة الكبرى المتمثّلة في : "الإسلام و المسيحية و اليهودية وتلتقي على معنى واحد للاغتراب المتمثّل في (انفصال الإنسان عن الله وعن الطبيعة) مؤكدا

[1] يحيى عبد الله ، الاغتراب ، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، مرجع سابق ، ص 117.

بأن الاغتراب في الإسلام على هده الصّورة التي يوضحها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال " : بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس " [1].

يعد " فيورباخ (1804- 1872) Fellerbach " من رواد التنظير الاغتراب الديني إذ يرى " أن الإنسان وضع أفضل صفاته في الألوهية إلى أن أصبح الإله صورة الكمال وغدا الإنسان خاطئا ليفتقد الكمال بصورة لا يرجى لها المرء فالإنسان يجرّد ذاته من كل ما هو طيب وقوي ليخلعه على الإله وكلما جعل إلهامه أعظم جعل نفسه أكثر ضالة ويؤكد فيورباخ أن الإنسان إذا ما أسقط نفسه في آخر مطلق و إذا ما اسقط صوره و أحلامه وصفاءه في شخص من وحي خياله فانه يكون مغتربا". [2]

باعتبار " فيورباخ " من رواد الفلسفة فإنه قد نظر للاغتراب الدّيني بطريقة فلسفية بحتة حيث أقر بأنّ حدوث الاغتراب الديني مرتبط برغبة الإنسان في تدقيق الكمال المطلق لأنه يرى ذلك الكمال في خالقه وعندما يعجز عن تحقيقه يصبح أكثر ضالّة مما يؤدّي إلى اغترابه كليا عن دينه.

كما يرى فيورباخ " أن الاغتراب الديني أساس كل اغتراب فلسفي أو اجتماعي روحي أو بدني "[3]. فالدين في رأيه جوهر كل نظام سياسي وتبعا لذلك فإنه يرى أنّ الإنسان في حاجة إلى شريعة الدّولة الفعلية الإنسانية وليس إلى شريعة الدولة المسيحية.

ويرى أيضا " أن الدين هو حلم الروح الإنساني ولكن الحلم لا يكون في السّماء بل على الأرض ولا يتم الكشف عن الاغتراب إلاّ من خلال فلسفة الدّين فأساس الاغتراب هو الاغتراب الديني ... فالاغتراب الديني هو انحراف الإنسان خارجا عن ذاته ومتعاليا عنها" [4]

فقد اتخذ " فيورباخ " من كتابه " جوهر المسيحية " مجالا لنقد الدين المسيحي ومن خلاله الدين بوجه عام ، كما قام بنقد كل الفلسفات التي ساندت الدين واللاهوت كالوضعية التأمليّة.

[1] دانيال علي عباس ، الاغتراب النفسي و علاقته بالتحصيل الدراسي ، مرجع سابق ، ص 37.
[2] يحيى عبد الله ، الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، مرجع سابق ، ص 123.
[3] حسن خنقي ، الاغتراب الديني عند فيورباخ ، مجلة عالم الفكر ، ع 1 ، مجلد 10 ، مج 10 ، 1979 ، ص 44.
[4] يحيى عبد الله ، الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، مرجع سابق ، ص 123.

أما قهر الاغتراب عنده فيكمن في أعمال العقل والسيطرة على الظواهر الطبيعية والرجوع إلى الحقائق الأولية بعد أن يمتلك حرّيته ويبتعد عن المطلق.

وخلاصة القول أن أنواع الاغتراب لا يمكن فصلها عن بعضها البعض بصورة مستقلة لأنها تشكل وحدة من المشاعر التي يعايشها الإنسان وتؤثر ببعضها ، فالاغتراب السياسي مثلا يؤدي إلى تشوه في نمو الشخصية ، كما قد يؤدي إلى انفصام العلاقات الاجتماعية وهكذا . لذلك كان الاغتراب ظاهرة تتأثر بجوانب عديدة فكانت لها مجموعة من الأبعاد.

الفصل الثاني

ظاهرة الاغتراب في رواية

"ذاكرة الجسد"

1- ملامح الاغتراب في رواية " ذاكرة الجسد":

تعرضت رواية " **ذاكرة الجسد** " إلى الواقع الجزائري تشريحا ووصفا ، من خلال ما أصاب المجتمع وما حل به من انحسار وتراجع في القيم ، وما شهدته السّاحة السياسية من تقلّبات وتناقضات، وشد و إرخاء ومد وجزر بين الماضي و الحاضر ، بين الدّين الموروث و الدّين الوافد ، كل هذه المفارقات انعكست سلبا على الفرد الجزائري ، فصار يعيش الضبابية والاغتراب داخل الوطن الواحد ، وقد تجلى ذلك في ما أصاب الشخصيات من توتر وقلق وهروب و تردد ، وهذا ما سنحاول أن نبيّنه في ما سيأتي في هذا العمل .

1-1- الاغتراب النفسي :

عبارة عن جو مشوّش يبعد النفس عن واقعها ويجعلها حائرة وتائهة ودائما منعزلة عن أقرب الأشياء إليها ، ويتفق أغلب علماء النفس في وصف مظاهر الاغتراب النّفسي على أن " هناك شعور بالألم والحزن واليأس والعجز والعزلة الاجتماعية ، إذ يتّصف المغترب بالقلق والاكتئاب وغالبا ما يكون عدوانيا في سلوكه مع الآخرين يرافقه الإحساس بالفراغ والملل والسأم والسّخط، وربما إلى عدم فاعليته في الحياة " [1]. أي تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة .

تحمل رواية " ذاكرة الجسد " لأحلام مستغانمي عديد المدلولات النفسية ، التي تعكس حالة الاغتراب والعزلة التي تعيشها الشخصيات ، ومن أبرزها نجد شخصية " خالد بن طوبال " الذي يجد نفسه في كل مرّة مغتربا بطريقة أو بأخرى عن وطنه وعن مجتمعه ، إذ كان اليتم السبب الرئيسي في تشكيل نفسية خالد ، فاعترافه بافتقاد أمه وشوقه وحنينه إليها أفقده الشعور بالأمان وهذا ما يدفعه للشعور بالاغتراب لقوله : "كنت يتيما ، وكنت أعي ذلك بعمق في كلّ لحظة فالجوع إلى الحنين شعور مخيف وموجع يضل ينحر فيك من الداخل ويلازمك حتى يأتي عليك بطريقة أو بأخرى " [2] . فهو الذي تذوق مرارة اليتم فأراد أن يهرب من ذلك الإحساس المدمّر إلى فضاء يحتضنه ويعطيه الحنان الذي فقده بموت أمه ، فالتحق بالجبهة ليجد الوطن قد فتح ذراعيه له محتضنا حرمانه ، فقد

[1] أحمد علي الفلاح ، الاغتراب في الشعر العري في القرن السابع للهجري (دراسة نفسية و اجتماعية) دار غيداء ، الفلوجة ، ط 1 ، 2013 ، ص 122.
[2] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، دار الآداب للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط 15 ، 2000 ، ص 27.

وجد فيه دفئ وحنان الأم التي فقدها ، لكنّه أحسّ بنوع آخر من اليتم وهو يتمه الجسدي بعد ما بترت ذراعه اليسرى في معركة ضد العدو ، الشيء الذي سبب له معاناة نفسية حادة فيقول :"كنت أشعر لسبب غامض أنني أصبحت يتيما مرة أخرى ، كانت دمعتان قد تجمدتا في عيني ، كنت أترف و كان ألم ذراعي ينتقل تدريجيا إلى جسدي كلّه ، و يستقر في حلقي غصة الخيبة و الألم ... والخوف من المجهول " [1] و هذا ما جعل " خالد " يشعر بالنقص و الحرمان ، و جعله يشعر بالاغتراب الجسدي حيث تعاني الشخصية المغتربة من اتساع المسافة أو الهوّة بينها و بين جسدها ، وذلك عندما تشعر الذات أن جسدها هو السبب لحالة الاغتراب التي تعيشها الشخصية ، ومردّ ذلك أنه كان يحس بأن الجميع يعتبرونه إنسانا ناقصا بنظراتهم التي ظلت تلاحقه حتى في غربته ، وهذا ما عمّق لديه الشّعور بالنقص وخيبة الأمل فيملنا حوله ، فكان لهذا العطب دورا مهمّا في حياته المهنيّة وتحوله إلى فنانة تشكيلي بارع . لكن في حقيقة الأمر لا يوجد هناك يتم أكبر من فقد الأعضاء ، فهذان المصيران من مؤهلات الشعور بالعجز عن التكيف داخل الوطن و خارجه . وهذا ما يؤدي إلى الشعور بالاغتراب ، حيث يشعر المغترب بالقلق والاكتئاب والفراغ وغالبا ما يكون عدوانيا في سلوكه مع الآخرين.

ويتمثل الاغتراب النفسي في الرواية أيضا في الغربة التي يعيشها " خالد" في فرنسا وتلك التي كانت في تونس ، حيث يقول "خالد " : "كنت أعيش في تونس ، ابنا لذلك الوطن وغريبا في الوقت نفسه ، حرّا ومقيدا في الوقت نفسه".[2]

كما عاش " خالد " حالة اغتراب كبيرة في فرنسا وذلك نتيجة رفضه للحضارة الغربية وارتباط ذاكرته بوطنه الجزائر . ويبرز تعلقه بالجزائر في مختلف فصول الرّواية فنجده يقول : "كنت أريد أن أرضي قسنطينة حجرا ...حجرا ، جسرا ...جسرا ، حيا ... حيا كما يرضي عاشق جسد امرأة لم تعد له"...[3]

وتظهر ملامح الاغتراب النفسي في الرواية أيضا من خلال شخصية "حياة " التي تحمل في داخلها جوعا للحنان الذي أحست به منذ استشهاد والدها ، فكانت طفولتها متعطّشة للحنان ،

[1] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص 36.
[2] المصدر نفسه ، ص 60.
[3] المصدر نفسه ، ص 191.

حيث ذاقت مرارة اليتم والحرمان من حضن والدها شهادة " خالد " : "كان جرحي واضحا وجرحك خفيا في الأعماق .

لقد بتروا ذراعي ، وبتروا طفولتك ، اقتلعوا من جسدي عضوا ... وأخذوا من أحضانك أبا ... كنا أشلاء حرب ... وتمثالين داخل أثواب أنيقة لا غير ..."[1]

وجدت " حياة " في " خالد " الذاكرة القديمة التي تحمل في طياتها الحديث عن والدها " سي الطاهر " لقول خالد : " أذكر ذلك اليوم الذي طلبت فيه مني لأول مرة أن أحدثك عن أبيك " [2] ووجدت فيه أيضا حضن الأبوة الذي حرمت منه لسنين لأنه أكبر منها سنا حين يقول خالد : " كنت هنا أعرض عليك أبوتي ، وكنت تعرضين عليا أمومتك أنت الفتاة التي كان يمكن أن تكون ابنتي ، والتي أصبحت دون أن تدري ... أمي "[3]

وخلاصة القول أنّ فقدان الأحباب ولّد حزنا عميقا في نفسية الشخصيات ، لمسنا فيه بعدا اغترابيا أدى إلى فقدان الإحساس بالذات ، فأصبحت كارهة لنفسها لأنها صارت تشعر بأنها تحولت إلى نسيا منسيا ، وعليه فإن حالة الاغتراب لدى الشخصيات تتناسب مع الوعي الممزق بالذات والتي لم تعد قادرة على احتمال الواقع والتناقضات التي تسود مجتمعاتها .

1-2- الاغتراب الاجتماعي :

كثيرا ما يصاب الإنسان بالإحباط من مجتمعه الذي يعيش فيه ، والسبب في ذلك راجع إلى طبيعة مخزون اللاوعي الذي استقر في نفس هذا الإنسان ، وعليه فإن صور التعبير عن الاغتراب الاجتماعي تختلف باختلاف الثقافات فضلا عن أنها تختلف من شخص لآخر في إطار الثقافة الواحدة تبعا لاختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

وعليه فالاغتراب الاجتماعي " يتمثل في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين ، والبرود الاجتماعي أي ضعف الروابط مع الآخرين وقلة أو ضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم ، وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الإنسان في افتقاد دائم

[1] أحلام مستغانمي ،رواية ذاكرة الجسد ، ص 102.
[2] المصدر نفسه ، ص 103.
[3] المصدر نفسه ، ص 118.

للدفء العاطفي "[1]. بمعنى أنه حالة في العلاقات الاجتماعية تنعكس حسب درجة التفاعل أو التكامل الاجتماعي ، والقيم والأخلاق ودرجة المسافة أو العزلة الاجتماعية بين الإفراد أو بين الفرد ومجموعة من الناس في مجتمع أو بيئة العمل .

ساد مدلول الاغتراب الاجتماعي في مختلف ثنايا الرّواية ، حيث كانت شخصياتها تعيش حالة من الغربة داخل المجتمع ، فالشخصية البطلة المتمثلة في شخصية " خالد بن طوبال " الذي استقر بفرنسا فوجد نفسه يعيش في واقع هو نقيضه بحيث يعيش في مجتمع لا تربطه به صلة ، فقد وجد في المجتمع الفرنسي عكس ما نشأ عليه في موطنه الجزائري ، ما زرع في نفسه حينما أبدى لبلده من حيث العادات والتقاليد والدين ومختلف السلوكيات الفردية أو الاجتماعية ، أو بالأحرى التناقض الموجود بين المجتمعين ولد اغترابا شديدا عند " خالد " . فنجد " احلام مستغانمي " تقول على لسان خالد : " قالت بلهجة فيها شيء من العتاب . وكأنها ترى في تلك اللوحة إهانة لأنوثتها: أهذا كل ما ألهمتك إياه ؟" فقلت مجاملا : " ألا لقد ألهمتني كثيرا من الدهشة ولكني أنا أنتمي لمجتمع لم يدخل الكهرباء بعد إلى دهاليز نفسه . أنت أول امرأة أشاهدها عارية هكذا تحت الضوء، رغم أنني رجل يحترم الرسم ... فأعذريني إن فرشاتي تشبهني ، إنها تكره أيضا أن نتقاسم مع الآخرين امرأة عارية ... حتى في جلسة رسم !" [2] . هذا القول يدل على ما عاشه " خالد " من اغتراب اجتماعي، فبالرغم من محاولة الاندماج داخل المجتمع الذي هو محير على التعايش معه ومع مختلف تفاصيله إلاّ أن ارتباطه الوثيق مع معتقدات وأفكار وطنه جعلت منه إنسانا مغتربا بكل المقاييس ورواية " ذاكرة الجسد " في مجملها تعكس الاغتراب الاجتماعي الذي يعد شاملا وجامعا لأنماط الاغتراب الأخرى.

لقد عاش " خالد " حالتين من الاغتراب الاجتماعي . الغربة في فرنسا وكذلك الغربة داخل موطنه الجزائر ، فقد اقر في الرواية أنه أحسس بغربة نفسية كبيرة في المجتمع القسنطيني، وذلك راجع للفساد السياسي الذي ساد في البلاد كافة فسيطرت الأفكار السياسية حتى على المجتمع وصار الركود عنوانا لكل شيء فنجده يقول : " هذه المدينة الوطن التي تدخل المخبرين وأصحاب الأكتاف

[1] قيس النوري ، الاغتراب اصطلاحا ، مفهوما وواقعا ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 10 ، العدد1 ، الكويت ، 1979 ، ص33 .
[2] أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، ص95 .

العريضة والأيدي القذرة من أبوابها الشرقية وتدخلني مع طوابير الغرباء وتجار الشنطة و البؤساء " [1] . من خلال هذا القول نفهم أن " خالد "كان محبطا من الوضعية والحالة التي آل إليها وطنه حيث أصبح مركزا للفساد والرشوة ، وملاذا لأصحاب الأيدي القذرة كما قد عبر صراحة : " وتدخلني مع طوابير الغرباء " وهذا ما يدل على إحساسه الشديد بالغربة وعدم توافقه مع الآخرين الذّين وصفهم بتجار الشنطة والبؤساء.

ونجد في الرواية " حسان " صديق "خالد " يقول : " الناس ... لا شيء البعض ينتظر ... والبعض يسرق والبعض الآخر ينتحر ، هذه مدينة تقدم لك الاختيارات الثلاثة بالمبرّرات نفسها والحجة نفسها " [2] . فلا شك أن مختلف شخصيات الرواية الرئيسية أو الثانوية تعيش حالة من الغربة داخل وطنها ، فقد وصف " خالد " مدينة قسنطينة بالمدينة المنافقة من أفرادها سارقين ومنتحرين أو خيارات تحمل نفس النتيجة ألا وهي الفشل الأكيد هذا الأمر اضطر "خالد" للتعبير عن مكنوناته من خلال رفضه للسلطات العسكرية القائمة ،" نحن متعبون ... أهلكتنا هموم الحياة اليومية المعقدة التي تحتاج دائما إلى وساطة لحل تفاصيلها العادية فكيف تريد أن نفكر في أشياء أخرى عن أي حياة ثقافية تتحدث ؟ نحن همنا الحياة لا غير ، وما عدا هذا ترف ... لقد تحولنا إلى أمة من النمل تبحث عن قوتها ، وجحر تختبئ فيه مع أولادها لا أكثر ... "[3] في هذا القول نجد أن كل أشكال الغربة والاغتراب تتخلل الرواية ، فالشخصيات تحس بالغربة الاجتماعية نتيجة لما يعيشه المجتمع الجزائري من فساد وركود سياسي ، اجتماعي ، وكذا اقتصادي نتيجة لما خلفه الاستعمار الغاشم : "كانوا جميعهم كالعادة أصحاب البطون المنتفخة ... والسجائر الكوبية ... والبدلات التي تلبس على أكثر من وجه، أصحاب كل عهد وكل زمن ... أصحاب الحقائب الدبلوماسية، أصحاب المهمات المشبوهة أصحاب السعادة وأصحاب التعاسة ، وأصحاب الماضي المجهول "[4] .ويقول أيضا " ها هم هنا وزراء سابقون ... ومشاريع وزراء ... سراق سابقون ... ومشاريع سراق مديرون وصوليون ... ووصوليون يبحثون عن إدارة مخبرون سابقون ... وعسكريون متنكرون في ثياب وزارية"[5].عندما عاد "خالد بن طوبال" إلى مسقط رأسه ووطنه الذي كاد الحنين إليه يقتله بصمت أحس بغربة قاتلة ،

[1] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص287.
[1] أحلام مستغانمي رواية ذاكرة الجسد ، ص303.
[3] المصدر نفسه ،ص302 .
[4] المصدر نفسه ، ص354
[5] المصدر نفسه ، ص355-354 .

فقد رأى في المجتمع كذلك رمزا للتدهور والفشل نظرا لسياسة القمع والنقب التي سادت ، وهنا يكمن الاغتراب الاجتماعي بأن تحسيس الإنسان بنفسه خارجا عن قوانين وعرف الجماعة مناقضا لها تماما ورافضا لمبادئها.

نجد في الرواية رد حسان مازحا " توازن ... ؟ عن أي توازن تتحدث ، نحن شعب نصف مختل ... لا احد فينا يدري ما يريد بالضبط ... ولا ماذا ينتظر بالتحديد ... إن المشكل الحقيقي هو في هذا الجو الذي يعيشه الناس ، وهذا الإحباط العام لشعب بأكمله إنه يفقدك شهية المبادرة والحلم والتخطيط لأي مشروع فلا المثقفون سعداء ... ولا الجاهلون ولا البسطاء ولا الأغنياء ".[1] فالوضع الذي كان سائدا في الجزائر والذي نتج عن الاستعمار ومخلفاته وكذلك العشرية السوداء جعلت المجتمع بأكمله يعيش نوعا من الغربة النفسية والاجتماعية.

يقول خالد بن طوبال : " نحمل الوطن أثاثا لغربتنا . سننسى عندما يضعنا عند بابه عندما يغلق قلبه في وجهنا ، دون أن يلقى نظرة على حقائبنا دون أن يستوقفه دمعنا ... سننسى أن سنسأله من سيؤثثه بعدنا"[2] . ويقول أيضا : " ليس من السهل على شخص سكنته الغربة إن يجمع أشياء هكذا ويعود "[3] .من خلال ما ورد في الرواية تتجلى لنا مظاهر الغربة والاغتراب بصورة واضحة، فشخصية " خالد " قد عاشت الغربة خارج وداخل الوطن ، الغربة المكانية وكذا الاجتماعية، فقد برز الاغتراب الاجتماعي في المجتمع الفرنسي حين وجد نفسه في مجتمع يختلف تماما مع مبادئه وفي وطنه حين تصادم مع مجتمع طغت مصالحه وأنانيته على المبادئ والقيم.

وخلاصة القول أن الاغتراب الاجتماعي هو عدم استجابة المجتمع ككل لفردية كل فرد من أعضاء المجتمع ، وهذا ما جعل شخصيات الرواية لا تستطيع التأقلم مع المحيطين به لأن تغيير واقع اجتماعي بأسره شيء شبه مستحيل.

1-3- الاغتراب الزمني :

[1] احلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص305.
[2] المصدر نفسه ، ص283.
[3] المصدر نفسه ، ص80 .

أصبح الزمن يمثل محورا أساسيا في تشكيل ظاهرة الاغتراب الإنساني ، وذلك من خلال فقدان التوافق النفسي والانسجام الذاتي مع اللحظة التي يحياها وظهور حالة التوتر بفعل تلك التبدلات النفسية .

تظهر ملامح الاغتراب الزمني في رواية " ذاكرة الجسد " من خلال الإبحار في الماضي واسترجاع الذكريات المؤلمة ، فاستحضار الماضي والعودة إليه هروب من الواقع بما فيه من ظلم وقهر ، فكان ما يبرر في الرواية من خلال قول البطل : " نحن لن نشفى من ذاكرتنا ، ولهذا نحن نكتب ، ولهذا نحن نرسم"[1] فالمصائر التعيسة والقهر الذي تعرض إليه البطل جعلته يسترجع الماضي ليخبرنا عن سبب انفصاله عن الثورة حين أصيب في إحدى معاركها فبترت ذراعه اليسرى : " لم أكن أعي وقتها أن طموحاتي لا علاقة لها بالمكتوب. وأن القدر كان يتربص بي في ذلك الوقت الذي كنت اعتقد فيه أن لا شيء بعد اليوم يمكن أن يعيدني إلى حزبي السابق . وجاءت تلك المعركة الضاربة التي دارت على مشارق " باتنة " لتقلب يوما كل شيء ... فقد فقدنا فيها ستة مجاهدين ، وكنت فيها أنا من عداد الجرحى بعدما اخترقت ذراعي اليسرى رصاصتان ... ولم يكن العلاج بالنسبة لي سوى بتر ذراعي اليسرى..."[2]

فهو يسترجع الماضي ، واللحظة الراهنة وما يعاني منها هي التي تدفعه إلى هذا الاسترجاع.

كما أبحر البطل نحو الماضي بذاكرته إلى فترة دخوله سجن " الكدية " إثر مظاهرات 08 ماي1945 التي عرفتها البلاد " في سجن الكدية ، كان موعدي النضالي الأول مع سي الطاهر كان موعدا مشحونا بالأحاسيس المتطرفة ... كان سجن الكدية وقتها ككل سجون الشرق الجزائري يعاني فجأة من فائض رجولة إثر مظاهرات 08 ماي 1945 ... " [3] ، كما كان البطل رافضا للحاضر، فكان الاندفاع نحو الماضي وسيلة للهروب لدفع مشاعر الحزن والقهر والتهميش. وما دام البطل يرفض الحاضر من الممكن أن يسترجع ويستذكر أيام الثورة والطفولة والسجن وغيرها من الذكريات التي مر بها . فيظهر تأثيرها وثقلها في الحاضر أكثر من الماضي " اليوم عندما أذكر تلك التجربة تبدو

[1] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص07 .
[2] المصدر نفسه ، ص34-35 .
[3] المصدر نفسه ، ص30.

لي كثافتها ودهشتها وكأنها أطول مما كانت . رغم أنها لم تدم بالنسبة لي سوى ستة أشهر فقط " [1] . أي أن هذا الاسترجاع يبدو مجرد ذكرى ماضية فقط.

كما تحدث البطل أيضا في الرواية عن استرجاعه لشهر " حريزان " شهر النكبات والمصائب : " فقد كان في ذاكرتي ما عدا حريزان V 7 ، ذكريات موجعة أخرى ارتبطت بهذا الشهر ... أما أول ذكرى مؤلمة ارتبطت بهذا الشهر فكانت تعود إلى سجن الكدية ، الذي دخلته يوما في قسنطينة مع مئات المساجين اثر مظاهرات 08 ماي 1945 ، حيث تم محاكمتنا في بداية حريزان أمام محكمة عسكرية". [2]

وخلاصة القول أن هناك تفاعل حقيقي بين الاسترجاع والحالة النفسية للشخصية التي أظهرت بمظاهر اغترابية مختلفة كالنفور من العادات والتقاليد والوحدة والقهر والعزلة ، فأصبحت تكره حاضرها المثقل بالهموم والحرمان والاسترجاع قد يكون :

1- مهربا و ملاذا من الحاضر ورفض الواقع .

2- تبرير للعقل وذكر الأسباب المواربة لما هو عليه .

3- الشوق والحنين للماضي .

1-4- الاغتراب المكاني :

بما أن الزمن هو جوهر الذات الإنسانية ولأنه يعد مختصرا هاما من مكونات البنية السردية والرواية ، فإن للمكان أهمية كذلك وقد يعد أكثر صلة بالإنسان إذ هو الموطن الذي يولد فيه الإنسان وعليه يدرج ويكبر ويقيم علاقات ، فلا يمكن فصله عن الشخصية لأنه الأساس في الكشف عن نفسياتها وطبائعها ، فالشخصية الروائية تبقى في حالة اقتران به لا يستطيع الانفلات من قبضته فهي تسعى إلى التعرف على ذاتها من خلاله ، لأنه قد يسهم في حمايتها من الضياع والتشتت ، فالشخص حين يقع في إشكالية ضد العالم المحيط به بمكوناته الزمانية والمكانية ، فانه يصبح غير قادر على تشكيل هويته التي يطمح إلى تشكيلها ، كما أنه لا يستطيع التوفيق بينما يدور في حنايا نفسه،

[1] المصدر تفسه ، ص41 .
[2] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص243 .

وما يريده من مكونات العالم الذي يحيط به ، الأمر الذي يدفعه نحو الإحساس بالضياع والغربة ، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بالاغتراب المكاني ، فهو ذلك الإحساس الذي يشعر به الإنسان في بعده عن وطنه وأهله ، فيبقى الحنين هاجسا يتربص به يسيطر على حياته ويحرمه من خوض تجربة النسيان.

" وما يزال يخشى فراق الأرض الذي نشأ بها ، ويحس بالحنين وبالغربة أينما اتجه فالنفي يفزعه والهجرة تضنيه ... "[1] ففي هذا القول صورة واضحة لمن ترك أرضه أو لمن يخشى فراقها ، فالحنين والشعور بالاغتراب يخاف الاصطدام به أو مواجهته ، وعليه فالاغتراب المكاني أخطر أنواع الاغتراب لأنه نيران من الشوق والحنين ولا يخمد إلا بعودة المغترب إلى وطنه .

تظهر ملامح الاغتراب المكاني في الرواية من خلال مدينة " قسنطينة "، هذه المدينة التي إن انفصل عنها خالد جسدا فإنه بقي متعلقا بها روحا وعاطفة فهي مدينة غنية بدلالات مشحونة بمشاعر الشخصيات الحزينة إذ يقول : " وكنت سعيدا أن تكون قسنطينة هي اللوحة التي بكى لها جسدي " [2] ، وهذا ما يعمق حسرة ووجع " خالد " على مدينته وشوقه وحنينه لها ، ولعل الاغتراب النفسي والمكاني في المنفى هو جعله يطلق العنان لذكرياته كي تعود به إلى استحضار "قسنطينة"، ووصفها بصفات دالة على التخلي والانفصال . وما يبين أن "خالد" مطرود من مدينته حين وصف مدينته بالنفاق إذ يقول : " هناك مدن منافقة ... وأخرى اقل نفاقا فقط ... وليس هناك من مدن بوجه واحد ... وحرفة واحدة . وقسنطينة أكثر المدن وجوها ... وتناقضا " [3] ويقول أيضا : " فقسنطينة مدينة منافقة لا تعترف بالشهوة ولا تجيز الشوق. إنما تأخذ خلسة كل شيء، حرصا على صيتها، كما تفعل المدن العريقة، ولهذا فهي تبارك مع أوليائها الصالحين ... الزانين أيضا ... والسراق " [4]. هنا " خالد " بين الواقع المأساوي الذي آلت إليه بعد أن تخلت عن مبادئها بفعل السرقة والدعارة . هكذا هي قسنطينة مدينة المفارقات والتناقضات فيها النفاق والتطرف و اللامبالات ، فلم يجد البطل نفسه إلا وهو يشعر بالاغتراب . فهي مدينة تحمل في طياتها موت القيم

[1] ماهر حسين فهمي ، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، معهد البحوث والدراسات الأدبية بيروت ، ط1 ، 1970 ، ص37.
[2] أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، ص191 .
[3] المصدر نفسه ، ص315 .
[4] المصدر نفسه ، ص142 .

الإنسانية وتمارس على أبنائها القهر لتجعلهم يعيشون في جو من الخوف والفزع : " مدينة توطأت معنا في التطرف والجنون . مدينة " سادية " تتلذذ بتعذيب أولادها . حبلت بنا دون جهد ، ووضعتنا كما تضع سلحفاة بحرية أولادها عند شاطئ، وتمضي دون اكتراث لتسلمهم لرحمة الأمواج والطيور البحرية " [1] كما تظهر أيضا ملامح الاغتراب في الرواية من خلال الجسور التي حضرت بأكثر من ملمح اغترابي فيها ، فهي أحد المعالم التي تزخر بها " قسنطينة " . " فخالد "كان يعشق مدينة "قسنطينة " و جسورها حيث جسّد ذلك في رسوماته التي أبدعها في غربته : " انتظرت فقط طلوع الصباح لأشتري بما تبقى في جيبي من أوراق نقدية . ما احتاج إليه لرسم لوحتين أو ثلاث . ووقفت كمجنون على عجل أرسم قنطرة الحبال في قسنطينة " .[2] هذا ما يدل على تعلقه الشديد بجسور "قسنطينة " .كما كان قلبه متمسكا بقنطرة "سيدي راشد" و "وادي الرمال" : "وعندما انتهيت ، كنت أرسم قنطرة سيدي راشد ووادي الرمال ... لا غير وأدركت أننا في النهاية لا نرسم ما نسكنه ... وإنما ما يسكننا ".[3]

فعلى الرغم من جمال وسحر الجسور وعلوها وشموخها ، إلاّ أن علاقتها بالموت أقوى من ذلك الجمال .

وهناك أيضا ملمح آخر من الاغتراب ، وهو اغتراب " خالد " عن بيته في "قسنطينة" ، وهو البيت الذي ولد فيه وقضى جزءا من شبابه يسبح فيه ذكرياته: " أم أن السبب هو صدمة لقائي العاطفي الآخر مع ذلك البيت ، الذي ولدت فيه وتربيت ، والذي على جدرانه وأدراجه ونوافذه وغرفه وممراته ، كثير من ذاكرتي من أفراح ومآتم وأعياد ... وأيام عادية أخرى ، تراكمت ذكراها في أعماقي لتطفو الآن فجأة ... كذكريات فوق العادة تلغي كل شيء عداها؟ "[4] وهنا يسترجع ويستحضر ذكرياته بمجرد دخوله إلى البيت فراوده الحنين إلى ما كان بينه وبين عائلته وخاصة والديه : " ما زال طيف الذين غادروه يعبر هذه الغرف أمامي أكاد أرى ذيل كندورة (أمّا) العنابي يمر هنا ، ويروح و يجي ، بذلك الحضور السري للأمومة . وصوت أبي يطالب بالماء للوضوء أو يصيح من أسفل الدرج الطريق ... لينبه النساء في البيت انه قادم صحبة رجل غريب ، وأن عليهن أن يفسحن

[1] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص344.
[2] المصدر نفسه ، ص63 .
[3] المصدر نفسه ، ص162.
[4] المصدر نفسه ، ص 288.

الطريق ويذهبن للاختباء في الغرف البعيدة "[1] ، وعليه فالبيت هو المكان الوحيد الذي يشعر فيه الإنسان بالطمأنينة والأمان والراحة حتى وإن كان قديم وبسيط إلاّ أنه يبقى المكان الأريح والأجمل في نظر صاحبه .

وخلاصة القول أن ارتباط " خالد " بالمكان مثّل له عبورا إلى الماضي وعودة إلى الأيام الجميلة، مما يدل على رهافة حسه ورقة عواطفه وإخلاصه في حبه لوطنه ، كما أن وقوفه عند مكان معين يستدعي البكاء على الحياة ويثير إحساسا بعنف تجربة الاغتراب والحرمان من الاستقرار ، ويؤكد عمق الشعور بألم الزمن الحاضر . وعليه فقد كان للمكان الدور المميز في إحداث رؤية واعية التحول الحاصل على مستوى المميزات والخصوصيات التي يتمتع بها المكان .

1-5- الاغتراب الثقافي :

إن اغتراب أفراد المجتمع عن ثقافتهم الجمعية ناتج عن شعورهم بعدم مشاركتهم الفاعلة في الموروث الثقافي السائد ، وشعورهم بعدم كفايتها لإتمام مطالبهم وعدم وعيهم بآفاقهم ، لذا يلجؤون لثقافة أخرى بديلة تلبي مطالبهم ، فسبب شعورهم بالعجز في ظل مرجعيتهم الثقافية أدى بهم إلى اللجوء إلى مرجعيات أخرى يعتقدون أنها الأصح في معالجة التطورات والأحداث . فالاغتراب الثقافي هو" ابتعاد الفرد عن ثقافة مجتمعه ورفضها والنفور منها والانبهار بكل ما هو غريب أو أجنبي من عناصر الثقافة ، وخاصة أسلوب حياة الجماعة والنظام الاجتماعي وتفضيله على ما هو محلي " .[2]

تظهر ملامح الاغتراب الثقافي في رواية " ذاكرة الجسد " من خلال انفصال " خالد " عن المجتمع الذي ينتمي إليه لانعدام التوافق في المبادئ والأخلاق ، إذ يعيش أزمة ثقافية حادة داخل وطن رافضا لثقافته ومبادئه " إننا ننتمي إلى أمة لا تحترم مبدعيها وإذا فقدنا غرورنا وكبرياءنا سندوس أقدام الأميين الجهلة ".[3]

وهذا ما جعله يشعر بالبؤس الثقافي واغترابه ثقافيا وما يعمق وجود الاغتراب الثقافي في الرواية " التناقض القيمي" ، حيث يشعر الفرد أن قيمه التي يؤمن بها تقف على النقيض مع قيم المجتمع

[1] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص288 .
[2] سناء حامد زهران ، إرشادات الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2004 ، ص111.
[3] المصدر نفسه ، ص181 .

الذي يعيش فيه ، و هو في الوقت نفسه عاجزا عن إحداث أي تغيير ايجابي له صلة بحياته أو بمحيط مجتمعه ، وشعوره من ناحية أخرى بافتقاد واضح القيم الرفيعة كالحق والعدل والخير والصدق ".[1] ويظهر ذلك مع المعلم" حسان " الذي وجد نفسه يعيش حالة من التوتر والصراع بين الحياة الثقافية والحياة المادية : " صحيح ... لقد خلقوا لنا أهدافا صغيرة لا علاقة لها بقضايا العصر ، و انتصارات فردية وهمية قد تكون بالنسبة للبعض الحصول على شقة صغيرة بعد سنوات من الانتظار ... فكيف تريد أن نفكر في أشياء أخرى ، عن أي حياة ثقافية تتحدث ؟ نحن همنا الحياة لا غير ... وما عدا هذا تافه ... "[2]. و من هنا أصبح "حسان" رافضا للثقافة والتعليم، وهذا ما يدل على التخلي عن الذات الأصلية ، وهو ما عبر عنه "حسان" في حديثه مع خالد :" فمن المؤسف أن ينقطع إنسان عن دراسته العليا ، لأنه سيظل يشعر بذلك النقص طوال حياته ... ومن ناحية أخرى ، لم تعد تفيد الشهادات اليوم في شيء حسب قوله ، و هو يرى حوله شبابا بشهادات عليا عاطلين عن العمل ، وآخرين جهلة ينتقلون في سيارات مرسيدس ويسكنون فيلات فخمة ... ليس هذا زمنا للعلم ... إنه زمن الشطارة ... فكيف يمكن أن تقنع اليوم صديقك أو حتى تلميذك بالتفاني في المعرفة لقد اختلفت المقاييس نهائيا ... "[3] . بين لنا "حسان" من خلال هذا الشاهد الفرق بين المثقف العاطل عن العمل والجاهل الذي أصبح يقود السيارات ويسكن الفيلات.

وخلاصة أن الاغتراب الثقافي قد ظهرت ملامحه من خلال شخصية المثقف المهمشة والممزقة داخليا لعدم انسجامها مع مجريات واقعها ، والتي كان مالها العزل والرحيل إلى الآخر والقيام بأفعال غريبة ، وجميعها ملامح اغترابية تفصح عن عجزها وعدم قدرتها على تغيير واقعها.

1-6- الاغتراب العاطفي :

تعد مشكلة الاغتراب العاطفي من أكثر المشكلات وضوحا ، حيث يؤدي الشعور به إلى عدم الارتياح والتوتر والعصبية والضعف وعدم الاستقرار الذي يهدد الذات والانا ، ويؤدي كذلك إلى المزيد من الاضطرابات النفسية والسلوكية لديه ، ويكون أكثر تأثير على عدة جوانب منها الاجتماعية

[1] أميرة علي الزهران ، الذات في مواجهة العالم تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2007 ، ص149.
[2] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص302 .
[3] المصدر نفسه ، ص304 .

والاقتصادية والتعليمية وغيرها ، وعليه فإن " الاغتراب العاطفي يولد نتيجة الحب المقرون بالفشل واللوعة والحرمان تبعا للظروف المحيطة وطبيعة التكوين النفسي والاجتماعي"[1] ولعل الحل الوحيد لمعالجة هذه الظاهرة هو الأمن العاطفي فهو المعيار الأساسي لاستقرار الحالة العاطفية للفرد ، والمصدر الأول لإحساسه بالثقة بنفسه وبالآخرين .

يظهر الاغتراب العاطفي في الرواية من خلال الحب الذي يشعر به السارد اتجاه " حياة " إلا أنه لم يخلق له سوى العذاب والانفصال ، حيث كان يرى بأنها البديل الأنسب عن أمة وتعويضا لها " فحياة " هي الشابة الجزائرية التي عشقها "خالد" بجنون ، وهي البنت الأولى لصديقة وقائده في النظال " سي الطاهر " الذي حمله وصية ستجيل ابنته " حياة " في دار البلدية ، حيث كانت من مواليد 1957م . فيقول : " ها هي لوحتي الأولى ، وجوار تاريخ رسمها تونس (57) توقيعي الذي وضعته لأول مرة أسفل لوحة ، تماما كما وضعته أسفل اسمك، وتاريخ ميلادك الجديد ، ذات خريف من سنة 1957 ، وأنا أسجلك في دار البلدية لأول مرة ... "[2] . كانت بداية عشقه لها عندما رآها في معرض الرسم الذي أقامه بباريس : "كان يوم لقائنا يوما للدهشة ... لم يكن القدر فيه هو الطرف الثاني ، كان منذ البدء الطرف الأول . أليس هو الذي أتى بنا في مدن أخرى من زمن آخر وذاكرة أخرى ليجمعنا في قاعة بباريس ، في حفل افتتاح معرض الرسم ، يومها كنت أنا الرسام ، وكنت أنت زائرة فضولية على أكثر من صعيد"[3] كما تحدث أيضا عن شدة إعجابه بها وهذا دليل على تعلقه وقوة حبه تجاهها : "كان فيك شيء ما أعرفه . شيء ما يشدني إلى ملامحك المحببة إلي مسبقا وكأنني أحببت يوما امرأة تشبهك وكأنني كنت مستعدا منذ الأزل لأحب امرأة تشبهك تماما"[4]. ويقول أيضا "كان وجهك يطاردني بين كل الوجوه ، وثوبك الأبيض المتنقل من لوحة إلى أخرى يصبح لون دهشتي وفضولي ".[5]

شكّل الحب مأساة حزينة تمخضت عن أمل كبير أجّج عاطفة " خالد " لكنه لم يكن يعلم أنه سيسير في طريق مليء بالأحلام والعذاب واليأس طعنا لذلك الأمل لكن هذا الشعور أحس به

[1] أحمد علي الفلاح ، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع للهجرة (دراسة نفسية واجتماعية)، المرجع نفسه ، ص98 .
[2] أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، ص64 .
[3] المصدر نفسه ، ص51.
[4] المصدر نفسه ، ص ن.
[5] المصدر نفسه ، ص ن .

بعدما آتاه خبر زواج " حياة " فأصبح حزينا مقهورا ، فكان الاغتراب العاطفي إذا مصيره الذي لم يستطع أن يشفى منه هكذا ترك الحب في نفسه المأساة والعدائية " فقد كان لابد ألاّ أشتهيك أنت ... وألاّ أبدأ رذيلتي معك . كان لحبك طعم المحرمات والمقدسات التي يجب تجنبها والتي كنت انزلق نحوها دون تفكير " .[1]

ويقول أيضا "كنت أدري أن العاشق مثل المدمن لا يمكن أن يقرر بمفرده الشفاء من دائه ، وأنه مثله سيشعر أنه ينزل تدريجيا كل يوم أكثر نحو الهاوية، ولكنه لا يمكن أن يقف على رجليه ويهرب ، ما دام لم يصل إلى أبعد نقطة في الجحيم. ويلامس بنفسه قعر الخيبة والمرارة القصوى "[2] . هذا يدل على حبه الجنوني اتجاهها وهو ما عمق معاناته النفسية والعاطفية : " فأين الحد الفاصل بين جرعة الشفاء وجرعة الموت هذه المرة ؟ وفي مواسم الخيبة تصبح الذاكرة مشروبا مرا يبتلع دفعة واحدة بعدما كان حلما مشتركا يحتسى على مهل؟ "[3] كما كانت روحه تنازع هذا الحب ، لتسيطر عليه الحسرة والألم وهو يحضر عرسها فيقول : " لعرسك لبست بدلتي السوداء ... لماذا اخترت اللون الأسود ؟ ربما لأنني يوم أحببتك أصبحت صوفيا ، وأصبحت أنت مذهبي وطريقتي ، وربما لأنه لون صمتي " [4] . فهنا يعبر عن حزنه وألمه يكشف عن تجربته التي قضاها متوهما ليجد نفسه ملتفّا حول الحزن والقهر والحرمان .

لم يتقبل خالد خسرانه العاطفي الذي سبب له الفجع والخوف والحرمان إلاّ بالرحيل " غدا سأعود إلى باريس " [5] ، ويقول أيضا " فرات ... غدوة نروح"[6] وما عمق أيضا اغترابه العاطفي خسرانه لأخيه " حسان " فيقول : " يذهلني اكتشافي ... ها أنا أصبحت إذن الابن الشرعي لهذه المدينة التي جاءت بي مكرها مرتين . مرة لأحضر عرسك ... ومرة لأدفن أخي . فما الفرق بين الاثنين لقد مات أخي في الواقع مثلما مت أنا في ذلك العرس . قتلتنا أحلامنا ... " [7] فالذي يفقد أخا يكون اشد اغترابا ، لأن فقد الأحبة غربة في حد ذاتها .

---

[1] أحلام مستغانمي ،رواية ذاكرة الجسد ، ص 308.
[2] المصدر نفسه ، ص ن
[3] المصدر نفسه ، ص317 .
[4] المصدر نفسه ، ص 351 .
[5] المصر نفسه ، ص366 .
[6] المصدر نفسه ، ص367 .
[7] المصدرنفسه ، ص 403 .

يحلم الإنسان دائما ببناء عالم خاص تملؤه المحبة لكنه سرعان ما يصطدم بالواقع المشوه ، وتبدأ أحلامه بالانكسار والتحطم ليصبح هائما في دوامة من المشاعر المتضاربة كالعزلة والوحدة ، وتبدأ رحلة اغترابه وانفصاله عن ذاته ، ومن ثم الشعور بعدم القدرة على التكيف والحلم ليصبح الاغتراب رفيقه الدائم .

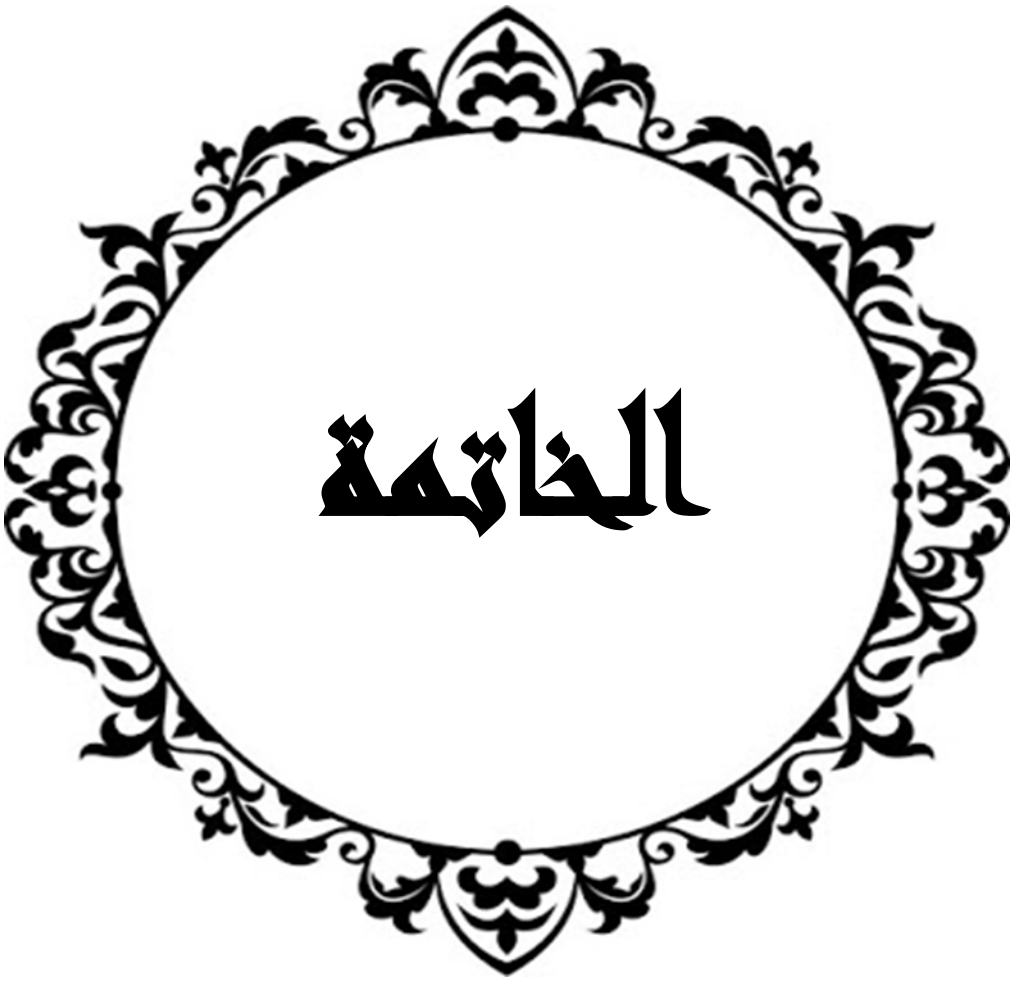
الخاتمة

خاتمة :

يحمل مصطلح الاغتراب دلالات عدة تطورت بتطور الزمن واختلفت باختلاف الثقافات ، ولكن تم الاتفاق على اشتماله على معنى الانفصال سواء عن الذات أوعن الآخرين .

نال موضوع الاغتراب قدرا وافرا من الدراسات والتعريفات من طرف العلماء والأدباء والنقاد، فلمسنا بذلك تعريفات له في المعاجم العربية وغير العربية وهذا ما يفسر مدى أهميته .

لم تكن ظاهرة الاغتراب خاصة بجيل دون الأخر ولا عصر دون آخر ، فقد لازم الإنسان منذ خطواته الأولى ، فهو موضوع قديم وجد بوجود الإنسان وله أنواع كثيرة منها الاغتراب النفسي والاجتماعي والسياسي و لديني ، والتي دفعت بالإنسان إلى الهجرة والابتعاد عن واقعه بكل ما فيه نتيجة تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية التي عان منها الفرد خلال فترة معينة .

ظاهرة الاغتراب هي حالة عامة من الاضطراب واليأس والإحساس بالعجز والعنف والانفصال عن الذات وعن الآخرين.

الاغتراب ظاهرة إنسانية متشابكة تتداخل فيها جميع الظروف المحيطة بالفرد سواء النفسية التي تعود في الأساس إلى الكيفية التي سينشأ بها الفرد أو الثقافية والحضارية المتمثلة في جملة العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ينشأ الاغتراب استجابة لمعانات الإنسان ومشكلات عصره وتناقضاته وإحساسه بعدم قدرته على مواجهة أزماته.

تعد الرواية الجزائرية " ذاكرة الجسد " إجابة صريحة عن معانات الإنسان الجزائري في الغربة .

دفعت حالة الاغتراب بعض الشخصيات إلى فقدان الإحساس بالذات فأصبحت كارهة لنفسها لأنها تشعر بأنها لاشيء.

يعد الجانب النفسي الأكثر حضورا في الرواية . إذ لازم الشخصيات شعور بالكآبة والقلق والعزلة بسبب ظروف ذاتية وأخرى موضوعية .

وفي الأخير يمكن القول أن الرواية استطاعت بالفعل تجسيد فكرة الاغتراب في محتواه ، والإجابة عن مختلف النقاط المبهمة في فكرنا حول ظاهرة الاغتراب ، وإبراز التناقضات الاغترابية بالرغم من صعوبة هذا الموضوع ، إلاّ أن الكاتب بفضل خبرته جعل من الاغتراب مفهوما اقرب وأسهل للاستيعاب خاصة أنه استعان بأمثلة من الواقع المعيشي الذي عان فيه الإنسان مختلف الاضطرابات والصراعات.

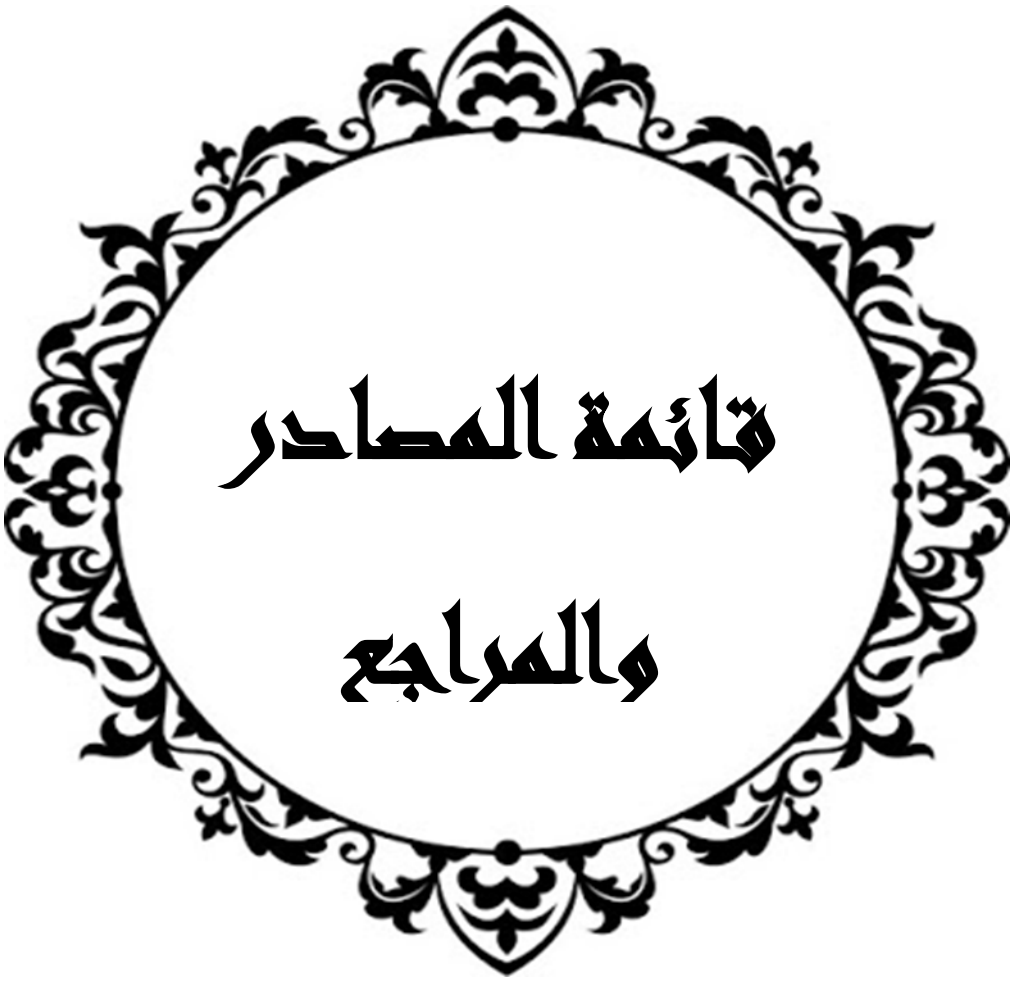
قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القران الكريم برواية ورش عن نافع.

اولا/ المصادر :

*احلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط15 ، 2000 .
*ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج3 ، القاهرة ، ط1، 1292هـ .

ثانيا/المراجع العربية :

*أحمد علي الفلاح ، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع للهجري (دراسة نفسية واجتماعية)، غيداء ، الفلوجة ، ط1 ، 2013 .

*أميرة علي الزهران ، الذات في مواجهة العالم ، تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجريدة العربية، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 ، 2007 .

*جان جاك روسو ، العقد الاجتماعي ، نقلا عن محمد راضي جعفر ، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر.

*رغداء نعيمة ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي ، دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق ، المجلد 28 ، 2012.

*سناء حامد زهران ، إرشادات الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب ، عالم الكتب، القاهرة ، ط1 ، 2004 .

*عادل الألوسي ، العبقرية والاغتراب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2003.

*عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري ، 1830-1974 ، الدار العربية للكتاب ، ط2 ، 1973.

*فاطمة حميد السويدي ، الاغتراب في الشعر ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، 1997 كمال الدسوقي ، ذخيرة علوم النفس ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة 1988 .

*محمد الهادي بوطا رن ، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، (د،ط)، 2010 .

*محمد راضي جعفر ، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر ، دار المعتز للنشر ط1 ، 2013.

*محمد ناصر الدين الالباني " ضعيف الجامع الصغير وزيادته " (الفتح الكبير) مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة ، الإسكندرية ، مصر ، (د ، ط) .

*ماهر حسين فهمي ، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، معهد البحوث والدراسات الأدبية ، بيروت ، ط1 ، 1970 .

*واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر " بحث في الأصول التاريخية للرواية الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د ، ط) 1986.

*يحي العبد الله ، الاغتراب ، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، دار فارس للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 .

ثالثا / المراجع المترجمة :

*ريتشارد شاخت " الاغتراب " تر : كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات ، دار النشر ، بيروت ، ط1 ، 1980.

رابعا / المعاجم والقواميس :

*أبي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، ط جديدة ، بيروت لبنان ، 1995م.

*ابن فارس أبو الحسين أحمد مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، مج4 ، دار الجيل ، بيروت،1991م.

*محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، قاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة (د، ط) ،2008 م.

*إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، ج1 ، أحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المجمع اللغة العربية ، 1989 م.

*ابن منظور ، لسان العرب ، مج1 ، بيروت للطباعة والنشر (د ، ط) 1955م .

خامسا / المجلات :

*إبراهيم محمود " حول الاغتراب الكاف كاوي ، رواية الفسخ أنموذجا ، مجلة عالم الفكر

*بسام خليل خديجة ، الاغتراب في أدب حليم بركات مجلة فصول ، المجلد الرابع، العدد الاول ، 1983.

*جديدي زوليخة " الاغتراب مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة واد السوف ، ع8 ، جوان، 2012 .

*حسن حنقي " الاغتراب الديني عند فيور باخ " مجلة عالم الفكر ، ع1 ، مج10 1979 .

*حسن محمد حسن " الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي " دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة فصول القاهرة ، ع3 ، 1995 .

*صالح مفقودة " نشأة الرواية العربية في الجزائر ، التأسيس والتأصيل " مجلة المخبر للأبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، ع2 ، 2005 .

سادسا / الرسائل الجامعية :

*بن علي قريش" الاغتراب في الشعر العربي الحديث(1920-1945) ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، 2006 2007 .

*بو نداوي كاتبة ، بن حموش سعيدة ، اغتراب الذات في الرواية الجزائرية ، رواية خيام المنفى لمحمد فتيلينة ، أنموذجا ، مذكرة مقدمة الاستكمال شهادة الماستر في الأدب العربي ، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية 2017-2018 .

*دانيال علي عباس ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي ، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي ، جامعة دمشق ، 2015-2016 .

*موسى كراد ، الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الأخيرين في القرن 20 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة العلوم ، جامعة الحاج لخضر ، باتة ، 2016-2017.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر و عرفان

إهداء

مقدمة.....أ– ب

مدخل.....5

الفصل الأول : ماهية الاغتراب وأنواعه

المبحث الأول : ماهية الاغتراب

1– مفهوم الاغتراب

1–1– لغة 9

1–2– إصطلاحا.....11

2– ظاهرة الاغتراب في الفكر الإنساني

2–1– في الفكر الغربي 13

2–2– في الفكر العربي 15

2–3– الإسلام و الإغتراب.....15

3– الاغتراب و الأدب.....18

4– الاغتراب في الحقول المعرفية

4–1– في الفلسفة 19

4–2– الاغتراب عند علماء الاجتماع.....22

4–3– الاغتراب عند علماء النفس 23

المبحث الثاني : أنواع الاغتراب .

1– الاغتراب الاجتماعي 25

2– الاغتراب النفسي 27

3– الاغتراب السياسي 28

4– الاغتراب الاقتصادي 29

5–الإغتراب الديني 30

الفصل الثاني : ظاهرة الاغتراب في رواية " ذاكرة الجسد " .

1– ملامح الاغتراب في رواية "ذاكرة الجسد" 34

1–1– الاغتراب النفسي 34

1–2– الاغتراب الاجتماعي 36

1–3– الاغتراب الزمني 39

1–4– الاغتراب المكاني 41

1–5– الاغتراب الثقافي 44

1–6– الاغتراب العاطفي.....45

خاتمة 50

قائمة المصادر و المراجع.....53

فهرس الموضوعات .....58.

ملخص

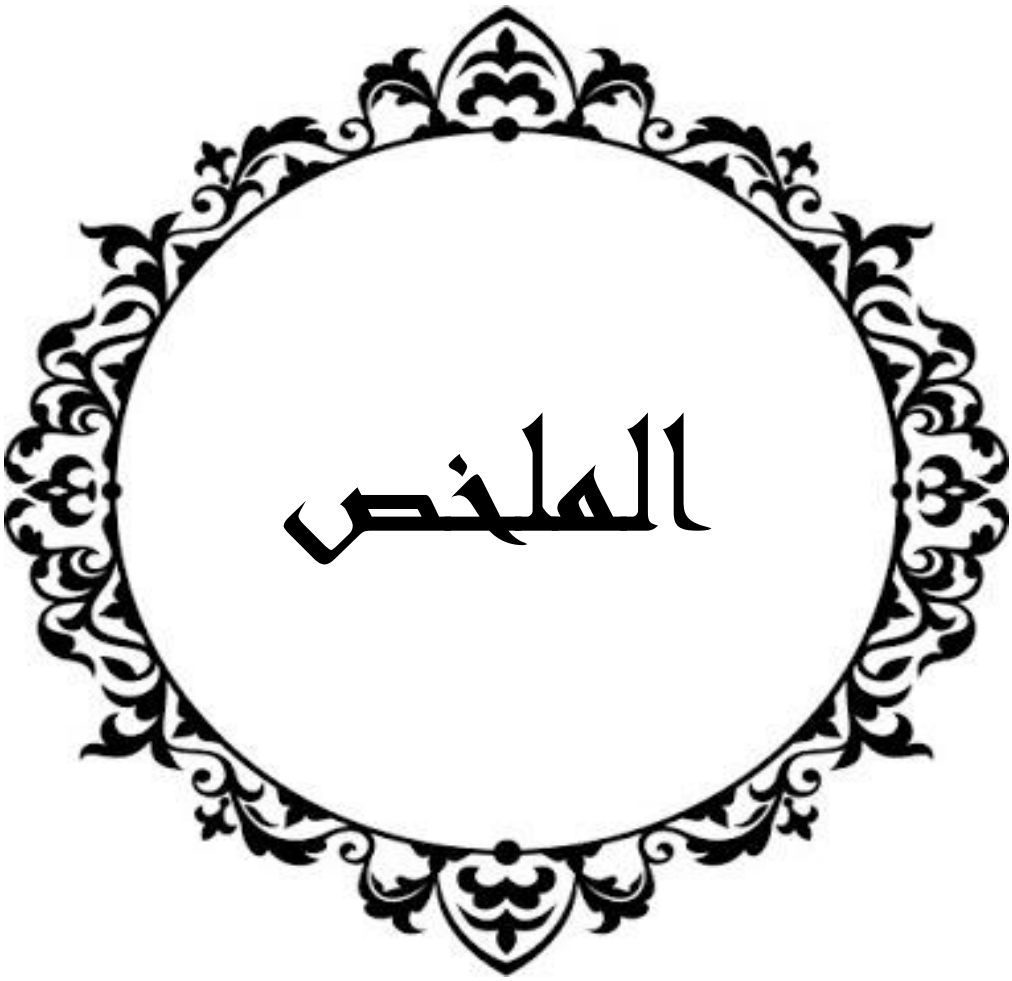
الملخص

الملخص :

يمارس الأديب نوعا من الأبوية السلميّة على أفراد مجتمعه ، وذلك من خلال الحديث عن مسارات الإنسان في هذه الحياة ، وما تعترضه من عقبات وتحولات اجتماعية وحالات نفسية ، ومن تلك الحالات ظاهرة الاغتراب التي تعني الغربة والعجز والعزلة ظاهرة انبرى لها الأدباء في إشعارهم وسرودهم بأشكال مختلفة ، وفي هذه المذكرة سنحاول تتبع مظاهرها وأشكال تحليها، وتبعاتها النفسية والذهنية والاجتماعية في رواية " ذاكرة الجسد " لأحلام مستغانمي.

الكلمات المفتاحية :

ظاهرة الاغتراب ، الغربة ، العجز ، العزلة.

Research summary:

The writer practices a kind of peaceful patriarchy over members of this community ,by talking about the human paths in this life ,and the obstacles and social transformations that it encounters ,and psychological states ,and among those cases is the phenomenon of alienation that means alienation ,impotence and isolation ,a phenomenon that literati have set out in their poems and narratives in various form in this not ,we will try to trace their appearances ,their manifestations ,and their psychological ,mental and social consequences in the novel memory in the flesh by dreams Mosteghanemi.

Key Words:

The phenomenon of alienation ,alienation ,impotence , isolation.